الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولاي طاهر * سعيدة *

كلية الآداب و اللغات و الفنون

قسم : الأدب العربي

تخصص: دراسات نقدية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة ب:

التوجه النقدي عند عبد القاهر الجرجاني
كتاب دلائل الإعجاز أنموذج

إعداد الطالبة:

سليماني مختارية

بإشراف الأستاذة:

حميدات مسكجوب

الرقم	الاسم و اللقب	الصفة
01	الدين العربي	رئيسا
02	حميدات مسكجوب	مشرفا و مقررا
03	كريم بن سعيد	مناقشا

الموسم الجامعي :2019م-2020م.

ما الفضلُ إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدِلاَءُ

وقدرُ كل امرئٍ ما كان يُحْسنُهُ وللرجالِ على الأفعالِ أسماء

وَضِدّ كلّ امرئٍ ما كان يجهله والجاهلونَ لأهلِ العلم أعداءُ

ففُزْ بعلمٍ ولا تطلبِ به بدلاً فالناسُ موتى وأهلُ العلم أحياءُ

الإمام علي بن أبي طالب *كرم الله وجهه*

الشكر والعرفان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا في إنجاز هذا العمل.

أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد على إنجاز هذا العمل، وتذليل الصعوبات التي وقفت عائقا في درب بحثي هذا.

وأخص بالشكر أساتذتي الفاضلة حميدات التي لم تبخل على بالتوجيه والإرشاد

وإلى أساتذتي المناقشين وإلى السيد عميد كلية الآداب واللغات.

إلى من جمعتني بهم الأقدار يوما، أساتذتي من الابتدائي إلى الجامعي، إلى كل طلبة السنة الثانية ماستر تخصص نقد عربي قديم.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الخالص إلى أسرة كلية الآداب واللغات وقسم اللغة العربية.

الإهداء

كفاني عزا أن تكون لي ربا وكفاني فخرا أن أكون لك عبدا، أنت لي كما أحب فوفقني إلى ما تحب إلى من قال فيهما رب العلا

*" **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا**" الإسراء الآية 23.*

إلى الأصل الثابت إلى من أحمل اسمه، إلى من كان ذخرا وعونا واعتزازا لي أبي حفظه الله لي.

إلى من كانت الجنة تحت قدميها، إلى رمز الحب والعطاء إلى التي سقتني بدعواتها في جنح الظلام، أمي الغالية أدامها الله لي.

إلى أختي وزوجها.

إلى قرة عيني أخي جمال.

إل برعمة البيت حياة.

إلى عمتي وزوجها.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي هذا المتواضع.

مقدمة

مقدمة

إن اللغة العربية من أشرف اللغات، وأعلاها مكانة باعتبارها لغة القرآن لغة الدين، ولغة الفاتحين، الذي زاد من رفعتها لتضحي لغة التواصل والحوار، ولغة العلم والتفكير، لتترجم إليه العلوم والآداب المختلفة نظرا للمكانة التي تتربع عليها، والزخم الهائل لمفرداتها و تراكيبها ليرسي دعائم هذه اللغة علماء كتبت أسمائهم بأحرف من ذهب لتكون الشغل الشاغل لديهم، متفرغين لدراستها والغوص في أعماقها من أجل المحافظة على استمراريتها و على المكانة التي تبوئت بها، وقد حاولت الدراسات المختلفة في مجال الفكر اللغوي الوصول إلى رأي في كنه النظم، وإلى السر في مراحل تطور، وقد كانت هذه الدراسات تحت ريادة اللغويون و البلاغيون و النحاة و النقاد منذ القدم، ومن أبرز القضايا التي تناولوها قضية اللفظ والمعنى والتي كانت شغلهم الشاغل في جل أبحاثهم التي لم ترقى مرحلة النضج إلا في القرن الخامس هجري، على يد عبد القادر الجرجاني الذي جمع شتات تلك الآراء ووحد بينها في إطار منظم ممنهج.

ولم تكن هذه النظرية وليدة الصدفة أو اللحظة بل كانت نتيجة جهود فكرية متواصلة شارك فيها الباحثون في مجال الفكر والمعرفة منذ القدم أبان عصر الجاحظ أو بالأحرى قبل ذلك بكثير، وهذه المدركات لم تكن سوى نفحات وإشارات لم ترقى لمستوى النظرية إلا مع الجرجاني، وها هنا تقصى الجرجاني دبر من سبقوه لكي يرسي دعائم نظرية ناضجة مكتملة، مكنة من بلورة نظرية متكاملة في الإعجاز القرآني، والتي تقوم على **توخي معاني النحو**، مرشدة إيان في الكشف عن أسرار إعجاز القرآن الكريم.

ومن أهم الأسباب والدوافع التي أدت بنا إلى خوض غمار هذا الموضوع هو الرغبة في التعمق في الدراسات المتعلقة باللغة العربية، والعيش في رحاب تراث عبد القادر الجرجاني ممتع حقا لأنه استطاع أن يعيد للنقد العربي مضمونه، لذا تطرقت لدراسة اللبنات التي اتكأ عليها ليرسي لنا نظرية ناضجة وقد كانت تحت عنوان **التوجه النقدي عند عبد**

القاهر الجرجاني من خلال مؤلفه **دلائل الإعجاز**، وما وقوفنا على عتبة هذا الموضوع إلا شغفا وإيمانا مطلقا بعظمة هذا العالم الفذ ومدى ثرائه الفكري.

ونظرا لطبيعة بحثنا هذا فقد اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على آليتين الوصف والتحليل، لأنه من أكثر المناهج الحديثة أهمية في دراسة نظرية النظم.

ومن أجل عرض الموضوع عرضا منسجما يسمح بتحقيق النتائج المرجوة من هذا البحث، فإننا بلورنا بحثنا هذا وفق الخطة التالية، ضمن فصلين يتقدمهما مقدمة ومدخل، و تليهما خاتمة.

الفصل الأول: عنوناه بالإطار المرجعي لنظرية النظم في الحقول، ويتضمن مبحثين الأول تحت عنوان الحقل المعرفي، وتناولها فيه ثلاثة مطالب.

الأول بعنوان: النحو قبل عبد القادر الجرجاني، والثاني جعلته تحت مسمى: النحو عند الجرجاني قبل دلائل الإعجاز، والثالث بعنوان: مفهوم النحو عند عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز.

أما المبحث الثاني كان موسوما بعنوان: الحقل البلاغي والإعجاز، وقد انضوت تحته ثلاثة مطالب كانت كالتالي:

المطلب الأول بعنوان: مفهوم البلاغة، والثاني اختص: بقضية اللفظ والمعنى، أما الثالث فقد رصدنا فيه رد فعل الجرجاني على أنصار اللفظ وعلى أنصار المعنى.

هذا ما اشتمل عليه الفصل الأول أما فيما يخص الفصل الثاني والموسوم بنظرية النظم، فقد حتى هو الآخر مبحثين الأول بعنوان نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، تفرعت عنه ثلاثة مطالب هو الآخر، المطلب الأول: كان تعريفا لمصطلح النظم وكذا مفهومه عند الجرجاني، أما المطلب الثاني فقد عنوناه بأسس نظرية النظم عند عبد القاهر

الجرجاني والتي جسد من خلالها نظريته هذه، والمطلق الثالث: كان موسوما بعنوان روافد ودوافع نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني.

أما المبحث الثاني فقد كان موسوما بعنوان قراءة منهجية في دلائل الإعجاز، لتنضوي تحته ثلاثة مطالب وهي كالتالي:

المطلب الأول بعنوان: فهرسة لموضوعات دلائل الإعجاز، ثم المطلب الثاني: تحت عنوان أهم مباحث النظم عند عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز، والمطلق الثالث: رصدنا فيه الدراسات الحديثة ونظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني.

مدخل

مدخل

الإرهاصات الأولية لنظرية النظم قبل عبد القاهر الجرجاني

فكرة النظم قبل القاهر الجرجاني

إن البحث عن الأصول المعرفية التاريخية لنظرية النظم يستدعي استعراض معظم الإنجازات اللغوية أو ذات الطابع اللغوي التي أسهمت بشكل أو بآخر في نضج مفاهيم هذه النظرية خلال القرن الخامس هجري على يد عبد القاهر الجرجاني ذلك أن نظرية النظم في صورتها الكاملة هي خلاصة تراكم الإنجازات اللغوية والبلاغية والنقدية العميقة والتي نشأة في حقول معرفية متعددة لها صلة قوية بحقل الدرس الإعجاز.

هذا وقد شكلت روافد البحث اللغوي هن من خلال هذه الحقول نهرا عظيما انصهرت فيه كل المعارف اللغوية لتشكل رؤية واضحة عن طبيعة اللغة العربية في بناء مفرداتها وتركيب وأساليبها، وإنشاء أغراضها ومعانيها هذه الرؤية هي التي قادت عبد القاهر الجرجاني فيما بعد لبلورة نظرية النظم، انطلاقا من إستثمار كل الإنجازات السابقة في الحقول المعرفية المختلفة، ولذلك كان من الضرورة تتبع مختلف المرجعيات التي ساهمت في صياغة مفهوم النظم كما قدمه الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، إنطلاقا من قناعته أن النظم اللغوي المتميز بالقرآن هو سر الإعجاز البياني الذي أفهم فطاحل الشعر و أساطيل البلاغة، فقد جاء القرن الخامس هجري ولا تزال قضية الإعجاز القرآني تملأ على المسلمين حياتهم، وتدفع العلماء إلى الخوض في البيان والبلاغة لإدراك الوجه البلاغي لإعجاز القرآن الكريم.

وكان أقوى الشخصيات في هذا القرن عبد القاهر الجرجاني الذي دافع عن قضية الإعجاز دفاعا مجيدا، ومن أجلها إستطاع أن يقيم **نظرية النظم** ويثبت أركانها التي بها اليوم يستقطب الحديث عن نظرية النظم باعتبارها أدق المقاييس النقدية التي خلفها لنا تراثنا– إن لم تكن أدقها على الإطلاق.

لقد جاءت المفاهيم الضمنية للنظم في صورة مفاهيم بسيطة وإشارات قريبة من مدلوله اللغوي، فقد حاول بعض الباحثين إرجاع فكرة **النظم** إلى ما كتبه أرسطو في مؤلفيه **فن الشعر** و **الخطابة** خاصة الأول، الذي جاء به الحديث عن الكلمة والفروق بينهما، والمقاطع والحروف والأصوات وغيرها من المسائل التي رآها ضرورة في البلاغة هذا ما أتى على ذكره في مؤلفه **فن الشعر** أما بخصوص مؤلفه **الخطابة**، فقد دعى إلى مراعاة الروابط بين الجمل والأسلوب المفصل والأسلوب والمقطع والحذف وأدوات الوصل والتكرار، وهذا يدل على اهتمام الثقافة اليونانية بطرائق نظم الكلام.

وحاول آخرون ربطها **بالهنود** فقد إهتموا بمفهوم النظم ولم يبقى ما يدل على ذلك من إشارات سوى ما ذكره **الجاحظ** عن **الصحيفة الهندية** وما جاء فيها عن مواصفات الخطيب و مأهلاته البلاغية والبيانية، وكذا ما ذكره **البيروني** في **تاريخ الهند** بوصفه للمحاولات البلاغية التي كانت تتصل بقضية الإعجاز في كتابهم المقدس.

وبهذا الصدد يعد **سبويه** أقدم الذين وقفوا عند هذه الجوانب ودرسها بعمق، وأخذ عنه النحاة والبلاغيون والنقاد أصوله وبنو عليها نظرياتهم، غير أن سيبويه والنحاة لم يسموا ذلك نظما وإنما هي قواعد تسير عليها العرب في كلامها بإنشائها.

وتعود أول إشارة **للنظم** على يد **ابن المقفع** 140 هجري من خلال مؤلفه **الأدب الصغير**فنجده يقارن بين صناعة القول وصناعة الذهب والفضة وقد اقترنت كلمة النظم فيه بالقلائد والسموط والأكاليل، والنظم عنده يتلخص في وضع الألفاظ مواضعها كما يضع الصائغ كل فص في موضعه، وإعتبار تناسب الجوار والملائمة بين الوحدات ليقترن الشبه بالشبه.[1]

فقال:" فإن مزج الناس من أن يكون لهم عمل أصيل وأن يقولوا قولا بديعا، فليعلم الواصفون المخبرون أن أحدهم – وإن أحسن وأبلغ – ليس زائدا على أن يكون كصاحب وأكاليل، ووضع كل ... موضعه، وجمع إلى كل لون شبيهه ومايزيده بذلك حسنا، فسمي بذلك صائغارقيقا كصناعة الذهب والفضة، ضعوا فيها ما يعجب الناس من الحلي والآنية

[1] – حمادى صمود، **التفكير البلاغي عند العربإلى القرن السادس**، ص490.

[...] فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه أو سيستحسن منه، فلا يعجبن إعجاب المخترع المبدع، فإنه إنما إجتناه كما وصفناه".[1]

وهو بهذا يعد الأب الروحي للنظم فقد كانت اللبنة الأولى لهذا المصطلح على يده.

ليعنى عبد القاهر الجرجاني بكل هذه الإشارات و اللبنات ويخلق لنا نظرية متكاملة.

الدوافع التي أدت إلى نشأة النظرية:

من أبرز ما مهد للفكرة قبل عبد القاهر الجرجاني وكان له تأثير عليه ذلك الصراع الذي أثاره إمتزاج الثقافات، وتعصب اليونانيين للفلسفة اليونانية ومنطقهم، دفاع حملة العربية على تراثهم وثقافتهم ومنها الثقافة النحوية، ومن مظاهر هذا الصراع تلك المناظرة الحادة بين متى بن يونس في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، فقد أراد الأول أن ينتصر للنحو أما الثاني فقد أراد أن ينتصر للمنطق وقد كان يرى متى أن المنطق ميدانه المعنى أما النحو فميدانه اللفظ، فأراد السيرافي أن يفند هذه المقولة فراح يقدم الأدلة على أن النحو يعنى بالمعنى هو الآخر وقال أن النحو منطق ولكنه منسلخ من العربية، وأن النحو منطق لكنه مفهوم بالغة فكان دفاع الصيرافي عن النحو العربي دفاعا قويا أثار إعجاب الحاضرين.[2]

ومما جاء على لسان السيرافي عن معاني النحو:" معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، بين وضع الحروف في موضعها المقتضية لها بين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب في ذلك وتجنب خطأ ذلك..."[3]

وتلك هي الأفكار التي صاغ منها الجرجاني نظريته ليجسد مؤلف دلائل الإعجاز.

وكذلك ما مهد للفكرة الفكرة التي كانت تطل برأسها في البيئة الإسلامية منذ ظهور الإلحاد في القرن الأول للهجرى، ثم أصبح ظاهرة خطيرة على المجتمع الإسلامي في العصر العباسي ألا وهي التشكيك في القرآن وفي إعجازه، فعلى الرغم من الجهود التي بذلت في

---

[1]- إبن المقفع، **الأدب الصغير**، مكتبة الحياة، بدون طبعة، بيروت، ص319.

[2]- يراجع، **نظرية الإعجاز القرآني**، ص 156-157، **إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة**، ص 46.

[3]- **إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة**، 47، **أثر النحاة في البحث البلاغي**، ص 337.

إرساء القواعد التي يقف عليها الإعجاز فقد رأى عبد القاهر أن القضية لم تحسم بعد والواجب الديني يفرض عليه أن يجند نفسه للدفاع عن هذه الفكرة وتبنيها ليألف كتابه دلائل الإعجاز والذي وضح فيه أن الإعجاز لا يقف على المعنى وحده ولا على اللفظ وحده، وإنما يكمن الإعجاز في النظم.[1]

الخلاف الذي نشأ بين النحويين والذي كانت بدايته بسبب فتح الباب لتحويز القرآن التي لم تشملها القواعد البصرية الأول، وهذا الخلاف أدى إلى التركيز على المسائل النحوية وأصبح للنحو علمائه المتخصصون ومدارسه المتخصصة، ونتج عن ذلك تفرع في مسائل كثيرة في ميدان النحو والصرف وصارت البلاغة العربية التي إنفصلت عن النحو أيضا في الإتجاه نفسه فتحولت إلى تقسيمات وتعريفات وحدود بعيدة عن النصوص اللغوية مما أدى إلى الزهد في النحو والإبعاد عنه.[2]

ومن خلال هذا يتأتى لنا أن نظرية النظم الجرجانية هي أول ميلاد في ساحة النقدية بأطر المرتكزات ناضجة و مكتملة يحكمها الذوق الفني، بعد أن كانت وليدة الذوق الانطباعي الذاتي.

النقد العربي:

إن الدارس و المتأمل للنقد العربي القديم يقف على ماله من التأمل لذلك الزخم النقدي الذي تركه لنا النقاد العرب القدامى، في علاقة بالنصوص الأدبية سواء في المرحلة الشفوية أو مرحلة ما بعد التدوين والكتابة، فلقد كان لكل حقبة نقاد حتى أنا الحركة النقدية التراثية كانت بمثابة الأرضية التي قامت عليها الحركة النقدية الحديثة.

والملفت في الأمر أن النقد توجه نحو الشعر أكثر من الإبداعات الأخرى المجاوز له كفن الخطابة وجمالية المثل السابق و غيرها، لأنه اعتبر الشعر من عادات الإبداع العربي، ويتأتى لنا أن تاريخ النقد عند العرب كان ميلاده على أيدي الشعراء الكبار فكانوا بمثابة حراس الشعر يستمعون إلى شعر الشعراء الوافدين إلى أسواق الشعر ليلقوا أحكاما شفاهية،

[1]- **نظرية الإعجاز القرآني**، ص 58.

[2]- أحمد شامية، **خصائص العربية والإعجاز القرآني في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995م، ص 126.

ولكن بعد إنتشار الكتابة و إزدهار حركة التدوين حافظ النقاد الشعراء على هذه الأحكام الشفوية ودونوها في كتبهم حتى ازدهر علم البلاغة و النحو وقامت حركة نقدية بريادة عبد القاهر الجرجاني .

وقد عرف النقد العربي تحولات عديدة و تغيرات جمة، ففي الجاهلية كان مبدأه ذوقيا، ولا يخلو ذلك من الجزئية فكان نقدا للخواطر دون تعليل، ولكن بفضل إحتكاك العرب و إلتحامهم بغيرهم من الأمم، و إفادتهم من ميراث الحضارات كالفرس واليونان والروم، ويلهم من علوم الفلسفة ومنطق المتكلمين إتسعت الذهنية العربية وتمت الروح العلمية وتزودت المكاتب العربية وتوفرت و إنعكس ذلك على سيرورة النقد فبات يتميز بالمنهجية.[1]

وكان ذلك في القرن الرابع هجري إلى القرن الخامس هجري حين إكتملت معالم النضج المنهجي على يد عبد القادر الجرجاني، ويتناول النقد عنده النصوص بالإستقصاء و الدراسة المبنية على التحليل وحسن التذوق، ليختص غداة ذلك بالنقد التحليلي الذي يعتمد على المنهج التذوقي بوصفه عاملا أساسيا في التصدي لمهمته، ونقد عند عبد القاهر الجرجاني يتأتى على أمرين هما:

المنهج التحليلي الإستقصائي لكل مكونات وعناصر الخطاب الأدبي.

موضوعية التحليل والتعليل، و الإبانة عن ذلك بلسان عربي مبين.[2]

وقد كان إستثمار النظم في النقد الأدبي للنص، إخضاع كل عنصر و جانب من عناصر وجوانب بناء النص الأدبي للتحليل و التأويل و التعليل الموضوعي وربط ذلك كله بالمعنى الكلي، و الغرض العام المنصوب له الكلام هكذا تأتت بوادر المشروع النقدي عند عبد القاهر الجرجاني.

[1] - أحمد عبد السيد الصاوي، **النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني**، الهيئة المصرية، الطبعة الأولى، 1979م، ص 03.
[2] - علي حسوني شلاكة الشرفي، **النقد الأدبي عند عبد القاهر الجرجاني**، 06-21-2011.

الفصل الأول

الإطار المرجعي لنظرية النظم في الحقول

الفصل الأول: الإطار المرجعي لنظرية النظم في الحقول

المبحث الأول: الحقل المعرفي

المطلب الأول: النحو قبل عبد القاهر الجرجاني

نظرية النظم كما أشرنا إلى الرحلة التي مرت بها سابقا، ولدت بعد مخاض عسير من رحم حقول معرفية متعددة وقد هيأ لها التعدد المرجعي لنظرية النظم صورة النضج والاكتمال، التي وضعتها النظرية عندما وصلت إلى مؤسسها عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس هجري، مما يدل على أن هذه النظرية هي خلاصة تراكم معرفي عميق نما يبطئ، في الحقول المعرفية المتصلة بها.

وقد تجلت البذور الأولى لنظرية النظم في الحقل النحوي، مع سيبويه الذي رصد لنا شذا من هذه النظرية وخطى هذا المجال.

يقول سيبويه" هذا باب الاستقامة من الكلام، والإحالة فمنه، مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال الكذب، فأما المستقيم فقولك: أتيتك أمس، وسأل أتيك غدا، وأما المحال فإن تنقص أول كلامك بآخره، تقول: أتيتك غدا، وسأل أتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه، وأما المستقيم القبيح، فإن تصنع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيدا يأتيك، وأشباه هذا، وأما المحال الكذب فإن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"[1] ويتضح لنا من هذا القول إن سيبويه يجعل مدار الكلام على تأليف العبارة، وما فيها من حسن وقبح وأن وصف الكلام بحسنه وقبحه، وإنما يكون من جهة ما يتوخى في نظمه من أحكام النحو.

لقد كان موضوع النحو عند سيبويه، وسيلة من وسائل بيان المعاني بين المتكلم والمخاطب بل وقد ذهب سيبويه إلى أبعد من ذلك حينما رأى أن وجوه النحو على هذا المعنى إنما هي خدم للمعنى واتضح له وجوه القياس تفسير القواعد النحوية، لا تثبت قواعدها في مواجهة ما يروم المتكلم إبلاغه إلى المخاطب.

[1] – سيبويه، **الكتاب**، الجزء الأول، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الجبل بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، د، ت، ص 08.

ومما يدل على صور اهتمام سيبويه بأهمية وانتظام المعاني على حسب الأغراض والمقاصد وتبعية النحو للمعنى، هو ما ذكره في باب الفاعلين الذي كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل به حيث يقول:

في تعليقه على قول إمرئ القيس

فلو أن ما سعى لأدنى معيشة * كفاني ولم أطلب قليل من المال**[1]

فيقول فإنما رفع إمرئ القيس لأنه لم يجعل القليل كافيا ولم يرد ذلك ونصب ففسد المعنى.

وبهذا يقول:" إن إمرئ القيس مع طموحه وبعد همته لا يسعى لأدنى معيشة، ولو أنه يسعى لتلك المعيشة كفاه قليل من المال، وإنما كان المطلوب عنده الملك بدليل قوله، بعد ذلك:

ولكّنّما أسعى لمجد مائل * وقد يدرك المجد المائل أمثالي.**

ولو نصبت (قليلا) لكان متناقضا مع نفسه."[2]

ولم يكتفي سيبويه في هذا الإطار بذكر مواضيع الحسن والقبح في الكلام، انطلاقا من علاقة العامل بالمعمول على النحو الذي سبق ذكره، وقد بسط لنا قضايا نحوية عديدة، تحت علاقة النحو بالأغراض والمقاصد التي يراد لها الكلام، ليجعل من ذلك شاملا لكل ما يحصل في الكلام من مظاهر **الحذف والذكر والزيادة والحصر والقصر والخبر الإنشائي، والتقديم والتأخير ...**

ويرى الباحثون أن سيبويه قد توسع في الوقوف على علاقة الحذف بالمعاني البلاغية حتى بات يقرب في توسعه هذا من عمل البلاغيين، حيث تعرض لكافة المحذوفات إلى أسرارها البلاغية مؤكدا على ضرورة توفر القرائن الحالية، والمقالية ليكون الحذف صحيحا مؤديا للمعنى، وقد أكد في هذا السياق أن الحذف في الكلام مظهر من مظاهر الأسلوب العربي، طال جميع أركان الكلام حرفا وفعلا واسما، بل شمل أحيانا حذف التراكيب وجمل العلة وقرينة ترتبط بالأغراض والمقاصد.

[1]- سيبويه، **الكتاب**، ص 79.

[2]- سيبويه، **الكتاب**، ص 79.

لقد كان سيبويه كثير الالتفات إلى ما يدل على النظم من آثار الكلام الذي لا تضطرد فيه أساليب العرب على القواعد العامة للغة العربية، على الرغم من أنه لم يذكر مصطلح النظم باللفظ الصريح وإنما عبر عن مضمونه من خلال ما أثاره من الملاحظات المتعلقة بطرائق الحذف وأساليب التقديم والتأخير وأشكال القصر والحصر وظواهر التنكير والتعريف، وما يدخل في الجملة تحت أشكال التصرف في أوضاع الكلم" أسماء أفعال حروف " وما ينشأ من ذلك من صحة أو فساد ومن جمال أو قبح.

لقد كان لفكرة معاني النحو جانب كبير من الاهتمام في كتاب سيبويه ذلك لأنه ربط العوامل النحوية في الكلام بأغراض المتكلمين ومقاصدهم، وأحوال المخاطبين وسياق الحال وما يوجبه ذلك من دلالات ومعاني معتبرا ذلك من سنن العربية وقوانينها المعتمدة في كلامهم شعرا ونثرا.

ويذكر في باب الحذف مثلا حذف الحرف، القسم مع بقاء عملها بغرض التخفيف على اللسان حيث يقول: ومثل ذلك" **الله لتفعلن** "، إذا استفهمت أضمروا الحرف الذي يجري وحذفوا تخفيفا على اللسان، وصارت ألف الاستفهام بدلا منه في اللفظ.[1]

ويذكر الجرجاني في هذا المسار" اعلم أن ليس النظم أن كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانين هو أصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها."[2] فنظرية النظم عند الجرجاني تتبع خواص التركيب الكلامي، فمدار أمرها على النحو، إذ يجعل الجرجاني من مفهوم النظم معادلا لمعاني النحو، ويخصص لهذا الأمر صفحات عديدة في مؤلفه دلائل الإعجاز ويبين منها" أن معاني النحو ترادف التراكيب والتعليق والسياق بأقسام الكلام ضروبا من التصرف، تتجلى بها غايات المتكلم مستعملا اللغة."

وبهذا فإن معاني النحو تفيد تحديدا الوظائف التي هي داخل المحلات وإبراز دور الفعل العامل في فاعله ومفاعيله، كما في مثال: ضرب زيد عمرا يوم الجمعة ضربا شديدا تأديبا له.

-[1] سيبويه، **الكتاب**، ص 08.

-[2] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، صححه وعلق حواشيه: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1981، ص 81.

من خلال هذا فإن معاني النحو لا تتمثل في ذكر أقسام الكلام، وإيرادها لذاتها بل إجراءها على ذلك النحو كاشفا لبنية الإسناد ولضروب التوسعة، من خلال هذا نرى أن الجرجاني قد أعطى أهمية بالغة للنحو وتوخي معانيه، إذ أن النحو ليس إذن مسألة هامشية ولا هو بالدخيل المتطفل على الدراسة الأدبية، فهو عمادها ومصدر العملية للصياغة الأدبية.

والنحو عنده نحوان:

نحو: وظيفته خدمة اللغة والتعبير عن مقاصد المتكلمين وغايته أن يمكنهم من انتحاء سمت الكلام كما رسمه الوضع والاصطلاح، وأن يعصمهم من الخطأ واللحن وزيغ الإعراب.

ونحو: وظيفته خدمة اللغة الفنية الأدبية والقيام بحق المبدعين من أصحاب اللغة، وهم الذين يمتازون من الأوساط بالفكر اللطيفة والفهم الثاقب، وبلطف النظر وفضل الروية، وقوة الذهن وشدة التيقظ ويمتاز صوابهم بشرف الموضع وصعوبة المأخذ، فالنحو في مستواه الأول – وسيلة تستعملها العامة استعمالا نفعيا، وظيفته في جوهرها وظيفة عملية، وهو في مستواه الثاني –سبيل الخاصة إلى استعمال اللغة استعمالا لا تكون فيه مجرد وسيلة عملية، وإنما تكون قادرة على أن تحرك سواكن الطاقات اللغوية الكامنة فإذا هي إنجازات فنية وآداء جمالي.

وهو يرى" أن النحويين يختلفان من جهة ارتباطهما بالمعنى، فالمعنى الذي يرتبط بالنحو في مفهومه الأول – معنى حقيقي مداره على التصريح إذ يدلك اللفظ (وحده) على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة."[1]

والمعنى الذي يرتبط بالنحو في مفهومه الثاني –معنى مجازي إيحائي، ذلك أنه لا يكشف لك بدلالة اللفظ وحده، ولا يدل عليه اللفظ حسب ما وضع له في عرف اللغة، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنا ثانيا، هو غرضك بمعرفتك من" **كثير الرماد**" أنه مضياف، ومن" **طويل النجاد**" أنه طويل القامة.

[1]–عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 262.

ومن هنا يفرق عبد القاهر الجرجاني بين المعنيين، بحيث يتكلم على المعنى الأول والمعنى الثاني ولعل أطرف ما وضع للتفريق بين المعنيين حصره في عبارة" **المعنى ومعنى المعنى**".

وبهذا النحو نحويين معناه أن النظم نظماني، يتوخى قواعد النحو الغفل الساذج، كما تجلى في لغة الدلالة الأولى ونظم يتوخى معاني النحو كما تجلى في لغة الدلالة الثانية.

فمستوى النظم الأول من مستوى النحو الأول، ومستوى النظم الثاني من مستوى النحو الثاني.

والكلام في النظم الأول – لا يحتاج إلى الفكر والروية ولكن سبيله في ضم بعضه إلى بعض.[1]

1-الفرق بين النحو ومعاني النحو عند الجرجاني:

كانت التفرقة بين النحو وتوخي معاني النحو واضحة في ذهن الجرجاني، بمعاني النحو عنده هي قواعد ثابتة مستقرة لا تحتاج إلى إعادة نظر، أما توخي هذه المعاني في عملية النظم فهي مجال المزية والحسن وجمال الإبداع والمنافسة لأنها تقوم على عملية الاختيار وحسن الاستخدام وفق قوانين النحو ومعانيه، وهذه الغاية هي التي تميز بين النحو والنظم.

وهذه العملية في نظر الجرجاني تحتاج من الناظم أن يملك الحسن الأدبي والذوق الفني، إضافة إلى الخبرة الدقيقة في معاني النحو والدربة في أوضاع اللغة، وهذا يتخطى هدف البحث في الخطأ والصواب، يقول الجرجاني:" فإن قلت: أفليس هو كلاما قد أطرد على الصواب وسلم من العيب؟ فما يكون في كثرة الصواب فضيلة؟ قيل: أما والصواب كما ترى فلا، لأن لسنا في ذكر تقويم اللسان، والتحرز من اللحن، وزيغ الإعراب، فنعتد بهذا الصواب."[2]

ويخلص الجرجاني إلى القول" بضم الكلمات لبعضها البعض وفق ترتيب معين، مع تمام معناه واستقامته، وهو الذي ينتج عنه ما يسمى النحو."[3]

-[1] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 80.

-[2]عبد القاهر الجرجاني، **أسرار البلاغة**، دار الثقافة العربية، الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى، 2007، ص 85.

-[3] محمد عبد المطلب، **البلاغة والأسلوبية**، الشركة المصرية العالمية، لوجمان، القاهرة، ص 179.

ومن هنا يمكن القول أن عبد القاهر الجرجاني لم يجدد النحو، وإنما أعاد الحياة إلى الدرس النحوي حين سلط الأضواء على أبعاد تحديد الدرس النحوي.

أ- **معاني النحو:**

أي معاني البنية الشكلية للغة، والتي على أساسها يشكل المتكلم جملة البنى الشكلية إذ تحدد لنا المعنى النحوي لا المعجمي.

ب-النظم والعلاقات السياقية: إذ تتبع الإعراب الترتيب الخاص للكلمات.

ت-البنى الكلية: المرتبطة فيما بينها لتشكل كلا واحدا عن طريق الارتباط والربط.

يرى الجرجاني أن معاني النحو هي معاني جزئية تؤلف من تضامنها معنى واحدا هو المفهوم، أي ما يعرف بغرض المتكلم وهذه الإشارة لم يسبقه إليها أحد.

يقول:" واعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب أو الفضة، فيذهب بعضها ببعض حتى تصير قطعة واحدة، وذلك أنك إذ قلت: ضرب زيد عمر يوم الجمعة ضربا شديدا تأديبا له، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معا كما يتوهمه الناس."[1]

إذ من خلال هذا القول هو يرتقي بمفهوم البنية ليعطيه شكلا جديدا في إطار الجملة، وهو ما يسمى المفهوم متحصل من تفاعل المعاني الجزئية، الذي يمكن أن يصلح أساس لمفهوم البنية الكلية للنص، وبهذا عملية بناء التركيب اللغوي تقوم عنده على المراحل التالية:

أ- **الاختيار:**

أي إختيار الوحدات من مخزونه اللغوي التي يمكن أن تفي بغرضه، بما يتناسب والمعاني المنبثقة عن الحالة الشعورية التي يعيشها.

أ- **الترتيب:**

[1]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 28.

أي تحديد موقع كل واحدة لغوية وفق ما يقتضيه غرض المتكلم، وذلك بأن يجري عملية تنظيم لها ثم اختياره، على نحو يتلاءم فيه هذا التنظيم من المحفوظة، والترتيب غير المحفوظة وفق ترتيب المعاني في النفس.[1]

ب- التعليق:

ويتم من خلال القرائن اللفظية، القرائن المعنوية والحالية، وهذا يدل على أن عملية البناء اللغوي عند الجرجاني لا تتم على نحو عشوائي، وإنما تخضع للقوانين الناظمة في اللغة، بحيث تشترط أن يكون اللفظ صفة.

المطلب الثاني: النحو عند الجرجاني قبل دلائل الإعجاز.

إلى جانب شهرة عبد القاهر الجرجاني في حقول البلاغة وعلم المعاني والبيان وعلم القرآن فقد حاز مكانة متقدمة بين النحويين و البلاغيين ليستفيد من جهود سابقيه في هذا الميدان كما سلف وتفرقنا سالفا، ومن هنا نجد الإمام عبد القاهر الجرجاني يهاجم المفهوم الخاطئ لهذا العلم عند معاصريه و سابقيه، لأنه لم يكن عندهم سوى بحوث لفظية شكلية تتبع الأحوال المختلفة للفظ من رفع ونصب.

فنجده يخاطب من قالوا في النحو و زهدوا من شأنه كاشفا لهم مكانته بقوله:" و أما تعدهم في النحو و إحتقارهم له و إصرارهم أمره وتعاونهم به، فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدم."[2]

بالنمو عند عبد القاهر الجرجاني مقياس يستقيم به الكلام، و الإعتماد عليه تكشف الخفي من الدلالات، ومتى إجعلنا على ملاحظات النحو عند الجرجاني نجد أنفسنا أمام إتجاه مختلف عن المعتاد في فهم الإبداع الكلامي وتفسيره، النحو ليس مجرد قواعد منطقية جدلية، بل هو في حد ذاته إبداع و ضرب من ضروب الفن البلاغي، ليكون تفكيره راقي وسامي في عصره، ويحل اللغة المحل الذي يليق بها، النحو عنده ليس عملت يعنى بأواخر الكلمات، ولا هو مجموعة من المصطلحات و القوانين الجافة إنما هو ذلك العلم الكاشف عن المعاني، و المتصل إتصالا وثيقا بالبلاغة

[1]-تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 188.

[2] - علي نصوح علي مواسي، **النحو البلاغي وعلاقته بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني**، 2009-2010م.

لقد كان عبد القاهر الجرجاني غزير التصنيف، فقد توزعت مؤلفاته على علوم العربية والدين، إذ نجده قد عني وألف في كل من النحو والصرف، واللغة والعروض والأدب والبلاغة وكذا التفسير، وقد ألفت مؤلفات عظام في المجال النحوي وقد قسمها الدارسون إلى قسمين:

- مجموعة العوامل المائلة وشروحها، وتتمثل في العوامل المائلة، وكتاب الجمل، وكتاب التلخيص.
- مجموعة شروح كتاب الإيضاح، والمقتصد في شرح التكملة، والعمدة في التصريف.

وهاهنا سوف نعنى بكل من **العوامل المائلة** والمقتصد وشرح **الجمل**، لمعرفة كيف تطرق الجرجاني للنحو قبل مؤلفه دلائل الإعجاز.

1-كتاب العوامل المائة:

لم ينفرد الجرجاني بالتأليف في موضوع العوامل فقد سبقه أبو علي الفارسي والكسائي،[1] وواضح من عنوان الكتاب أن له صلة متينة بالمستوى الأول من الدرس النحوي، إذ يوحي أنه يرتبط ارتباط كليا بما بين الكلمات من عمل، تنتج عنه علامات الإعراب، فهو كتاب يدور حول نظرية العامل النحوية، وهو كتاب صغير به صفحات قليلة تضمن عرضا للعوامل، مقسما إياه إلى عوامل لفظية وأخرى معنوية مقسما العوامل اللفظية إلى سماعية القياسية.

أما العوامل القياسية فقد إستند عملها إلى قاعدة كلية، وتنحصر في سبعة عوامل، وأما العوامل السماعية فتنحصر في ثلاثة عشر نوعا، وعدد عواملها واحد وتسعون عاملا، أما العوامل المعنوية فتتمثل في عاملين إثنين.[2]

استهل الجرجاني كتابه **العوامل** بمقدمة جاء فيها:" الحمد لله ربي العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، فهذا شرح لطيف الألفاظ العوامل النحوية في أصول علم العربية إن شاء الله تعالى ينتفع به كل طالب، ويرغب فيه كل راغب."[3] ويعد هذا المألوف يسيرا سلسا وسهلا لمن أراد أن يتعلم نحو العربية، فهو على حد قول

[1]- مصطفى جطل، **فصول من النحو**، منشورات جامعة حلب، مديرية الكتب الجامعية، 1981-1982م، ص 20.

[2]- صالح بالعيد، **التراكيب النحوية ودلالتها السياقية**، ص 14.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، **العوامل المائة النحو في أصول علم العربية**، تحقيق: البدراوي زهران، دار المعارف، الطبعة الثانية، ص 72.

الجرجاني:" يهذب ذهن المبتدأ وفهمه، ويعرفه سمت الإعراب ورسمه، ويفيد في حفظ المتوسط الأصول المتفرقة والأبواب المختلفة لنظمها في أقصر عقد وجمعها في أقرب حد.[1]

ومن هاهنا فسبب تأليفه واضح، وهو محاولة تقريب فهم الطالب المبتدئ لتمكينه من فهم هذه المادة والإقبال عليها، وكذا بسبب ما طرأ على النحو من تعقيدات وتفسيرات وتأويلات الأمر الذين دفع الشعورية بالتنديد بضرورة عدم الإقبال على هذا العلم بحجة أن به مسائل عويصة تعيق الفكر وترهق الذهن. وهو يعد من أهم الرسائل والمتون التي يبتدأ بها طالب النحو والعربية، أسسه على ثلاثة أصول:" العامل، المعمول، العمل وهو الإعراب "، وبهذا التقسيم البديع يتميز عن طلاب مدرسة ألفية بن مالك وشروحها، وهذا مما يثري في استيعاب أصول المسائل النحوية، واستحضار المعنى الإعرابي، ولاسيما عند غير الناطقين بلغة الضاد الذين اعتنوا بهذا المتن غاية العناية.

وقد كان لهذا المتن اللطيف ذيوعا كبيرا عند الأعاجم لما حوله على لطف حجمه من أصول النحو العربي، بأسلوب ممهد السبيل وكذا بوجود أمثلة توضيحية قريبة الفهم.

2-شرح الجمل:

كتاب الجمل يسمى أيضا كتاب **الجرجانية** هكذا عرف أصحاب كتب الطبقات.[2]وهو شرح لكتاب المائة فهو شبيه بكتاب التلخيص إذ جاء شرحا لكتاب الجمل.[3]

هو أول مؤلف مدرسي في متناول المتعلمين، فالكتب التي سبقته كانت في مجملها لذوي الاختصاص لا تكمن الاستفادة منه إلا بعون من شيخ متمرس، وهذه الميزات جعلته يحتل الصدارة طيلة قرون ويلقى رواجا كبيرا خاصة عند المغاربة بصفة خاصة حتى أن المؤرخين ذكروا له أكثر من مائة شرح.

يقول الجرجاني:" هذه جمل رأيتها ترتيبا قريب المتناول، وضمنتها جميع العوامل، تهذب ذهن المبتدئ وفهمه، وتعرفه سمت الإعراب ورسمه، وتقيد في حفظ المتوسط الأصول المتفرقة والأبواب المختلفة، نظمها في أقصر عقد وجمعها في أقرب حد."[1]

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، **العوامل المائة النحو في أصول علم العربية**، ص 16.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، **شرح الجمل**، تحقيق: يسرى عبد المغني عبد الله، دار الكتب العلمية، 1992م، ص 16.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، **شرح الجمل**، ص 10.

من خلال هذا نجده قد بين لنا مبتغاه من وضع هذا الكتاب، وقد تشكل كتابه هذا من خمسة أبواب هي: المعرفة، النكرة، التوابع، التذكير، والتأنيث، والإعراب الأصلي والغير أصلي والمفرد والجملة. والسبب الذي جعله يختلف عن غيره هو قيامه قيام الشرح لما سبقه (العوامل) في منهجه وطريقته، إذ قسمت فيه العوامل حسب أقسام الكلم الثلاثة المتعارف عليها (عوامل الحروف، عوامل الأفعال، عوامل الأسماء) فضلا عما حوله الكتاب الأخير من مقدمات كتقسيم الكلم وحد الفعل والاسم وغير ذلك.[2]

وبهذا كتاب الجمل شبيه ومماثل العوامل التي قام من أجلها كتاب العوامل، وقد كان له دور في إعادة تبسيط العوامل ساعيا إلى الحفاظ على نظرية العامل والحركات الإعرابية والعوامل اللفظية لا توجد فيه إشارات لنحو حي.

3-المقتصد:

أما المقتصد فهو شرح مختصر للإيضاح[3]أما عن زمن تأليف هذا الكتاب فقد كان في باكورة حياة الجرجاني العلمية وهو ليس أول مؤلفاته بل هو آخر مؤلفاته النحوية، وقد إهتم فيه الإمام بالناحية النحوية فكان بذلك مدعاة اهتمام الكثير من النحاة ويعد هذا الكتاب من كتب الأصول النحوية المقتضبة التي ألفت أساسا لتعليم النحو لا للتوسع أو التعمق في فهم خفاياه.[4]

وهذا الكتاب هو ثالث مؤلفات الإمام التي نصفها لشرح كتاب أبي علي الفارسي كونه كان شديد الإعجاب بهذا المصنف فأقبل على دراسته وفهمه مما دفعه لتأليف ثلاثة شروح له فصل فيه الإمام كل أبواب النحو المختلفة، متابعا الأبواب التي تكلم عنها(أبو علي) في إيضاحه، وهي تعطي جميع الأبواب التي اتفق النحاة على إثباتها، والإيضاح يعتبر من كتب الأصول التي ألفت لتعليم النحو لا للتعمق في قضاياه و مسائله، وألف خصيصا لتعليم أبناء أخ عضد الدولة، وقد شغف الإمام بهذا المؤلف، وأدى به الحال أن بشرحه ويعمق البحث فيه و هذا المؤلف يبرز لنا مدى اهتمام الإمام بالنحو حيث خصصه للنحو

[1]- عبد القاهر الجرجاني، **الجمل في النحو**، ص 35.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، **الجمل في النحو**، ص 37.

[3]- السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، دار المعرفة، بيروت، د ط، د ت، ص 311.

[4]بتصرف، عبد القاهر الجرجاني، **مقدمة المقتصد**، الجزء الأول، ص 35.

المعياري الدقيق ولمختلف الاستعمالات الأخرى وهذا على غرار(العوامل)[1]وقد صدره صاحبه بأبيات مدح فيها الإمام(أبا علي) أستاذه ووصفه بالمنقذ من ظلال اللحن، ومن كثرة العلل، و التخريجات والتعقيدات، التي طال من ورائها، وقد أفصح الجرجاني عن الهدف الذي دفعه لتخريج هذا المألف بقوله:" ... فرأيتم الرأي أن أملي عليكم كتابا متوسطا يفضي بمتأمله إلى أعراض هذا الكتاب يعقد منه، ومن هذا العلم نسبا ينفي عن طبعه وحشة الأجانب وتعدية أنس المجالس والمناسب ويلين له جانبا من عويصة ويهديه إلى مصعب طريقه حتى يتوصل منه إلى طلب الغاية ويطلع منه نجم السعي للنهاية، فوجدت الميل إلى ما يعمره معالمكم وليمن مساعيكم أذهبت في سبيل المروءة والكرم وأشد مناسبة للحاجة والشيم فأنا أذكر بحول الله ما يكشف عن ظلمة الإشكال ويفيض عليه نور البيان ولا أتعدى المقدار الذي يشمل على مقاصده، وما يفتقر إليه من الفروع و الأصول وأرجو أن يقترن به الله الخير والسداد بمنه و لطفه.[2]

بإضافة إلى ضمه مواضيع النحو المعياري تضمن المجلد نكتا نحوية لا تقل أهمية عما جاء في الدلائل، هذا وإن لم نقل أن بعض آرائه في المقتصد قد وجدت لها صدى في دلائله.[3] وعليه تعتبر هذه الإشارات بذور لما يتضح في نظرته للنحو في الدلائل إذ تتخذ مجالا أوسع من المعروف عند النحاة في كتبه النحوية الأخرى.

[1]- صالح بالعيد، **التراكيب النحوية ودلالتها السياقية**، ص 26.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، **المقتصد في شرح الإيضاح**، ص 67- 68.

[3]- سليمان بن علي، **صلة النحو بعلم المعاني عند عبد القاهر الجرجاني**، ص 07.

المطلب الثالث: مفهوم النحو عند الجرجاني في دلائل الإعجاز.

يبدو من سياق دلائل الإعجاز أن الهدف من النحو في ليس هدفا شكليا إعرابيا، فعبد القاهر الجرجاني لا يقف عند حدود الحركات التي تطرأ على أواخر الكلمات باعتبار أن:

معرفتها و الوقوف على ألفاظها شيء مشترك بين الجميع.

إنها ليست مقياس للتفاضل بين الكلام الجيد و عكسه.

و عليه فعبد القاهر لا يجرد المظهر الإعرابي من كل قيمة أسلوبية، ولم يجز إذا تعدت الوجوه التي تظهر بها المزية أن يعد فيها الإعراب وذلك لأن العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلهم، وليس هو مما يستنبط بالفكر ويستعان عليه بالروية، ومن العجيب أن إذا نظرنا في الإعراب وجدنا التفاضل فيه محالا، لأنه لا يتصور أن يكون للرفع و النصب في الكلام مزية عليهما في كلام آخر.[1]

أبى عبد القاهر الجرجاني أن ينساق مع نظرة النحاة الخاطئة للنحو فانتشله من مهاوي التردي، وغياهب الجمود فدعا إلى دراسة النظم وما يتصل به من بناء وتعليق وترتيب مجسدا المعاني الوظيفية للتركيب الكلامي، وأوجه الدلالة في تأليف العبارة.

فالنحو عند عبد القاهر الجرجاني هو الذي يفتح الألفاظ المغلقة على معانيها، وهو المعيار الذي يعرف به فضل كلام على كلام وهو مقياس الصحة من السقامة في الفكر، وعلى الرغم من أن منهج الجرجاني يحفل بإتباع السابقين أمثال سيبويه في الدرس النحو يكونه يربط الدرس النحوي والبلاغي معا بعامل النظم، ويربط عامل النظم بالعالم النفسي في عملية إنتاج الكلام.[2] أما قواعد النحو فلم تصبح عند عبد القاهر الجرجاني جافة مقصورة على الإعراب، وإنما أصبحت مقياسا يهتدى به في البراعة، ووسيلة من وسائل التصوير والصياغة التي يتفاوت الشعراء في التسابق فيها.

قد أعاد الجرجاني للغة مكانتها، وبين قدراتها العجيبة على تأدية المعاني المرادة بواسطة الصياغة الفنية الحقة، فالنحو عنده ليس ذلك العلم الذي يبحث في أواخر الكلمات بقصد

[1] - بشرى تاكفراست، **الإجتهادات النقدية المفضية لدراسة الأسلوب في كتاب دلائل الإعجاز**، نشر هذا المقال بمجلة جامعة ابن يوسف،العدد الثاني، 2003م.

[2] – محمد عباس،**الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني**، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1999م، ص 66.

إعرابها وليس هو ذلك الشيء الذي لا مكان له في فن القول، أو في الفن الأدبي عموما، وإنما هو العلم الذي يكشف لنا عن المعاني التي هي ألوان نفسية نستطيع إدراكها من وجوه استعمال الكلام، ومن الفروق التي تبدو بين استعمال وآخر من خلال ارتباط بعضها ببعض، بحيث تجتمع لتشكل معا نسيجا حيا من المشاعر الإنسانية والصور الذهنية والأحاسيس الوجدانية.

وحقيق القول:" لقد آن لمذهب عبد القاهر الجرجاني أن يحيا، وأن يكون هو سبيل البحث النحوي، فإن من العقول من أفاق لحظة من التفكير والتحرر، وإن الحس اللغوي أخذ ينتعش ويتذوق الأساليب، ويزينها بقدرتها على رسم المعاني، والتأثير بها من بعد ما عاف الصناعات اللفظية وسئم زخارفها."[1]

لقد اشتملت الكتب السابقة على بعض الإشارات حول مفهوم النحو عند الجرجاني، لأنها كانت عبارة عن ملخصات للدروس النحوية التي جمعها عن شيوخه وكان يهدف من خلالها إلى تبسيط النحو للدارسين المبتدئين.

وهاهنا سنترصد أربعة نقاط وهي:

- **التعليق.**
- **معاني النحو.**
- **معاني الكلام.**
- **علاقة النحو بالمتكلم والسامع.**

4-التعليق:

يرى الجرجاني أن التعليق هو مجموعة من العلاقات النحوية التي تنشأ بين العناصر التي تتصاحب داخل السياق الكلامي، إذ أن المبتدأ لابد أن يكون له الخبر والصفة لابد أن يكون لها موصوف، ولابد للحال أن يكون له صاحب الحال وكذا.[2]

وقد بسط عبد القاهر القول في أوجه هذا التعليق بعد أن بين أقسام الكلم الثلاث" الاسم والفعل والحرف "، ثم بين الطرق المعلومة لهذا التعليق وهي: تعليق إسم باسم وتعليق اسم

[1]- إبراهيم مصطفى، **إحياء النحو**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر، 1959م، ص 20.

[2]- محمود سليمان الياقوت، **علم الجمال اللغوي**، الجزء الأول، دار المعرفة الجامعية، ص 44.

بفعل وتعلق حرف بهما.[1] هكذا رصد لنا عبد القاهر الجرجاني التعليق النحوي، وقد فصل الجرجاني في توضيح الطرق المعلومة للتعليق منطلقا من:

أ- تعليق الاسم بالاسم:

وذلك بأن يكون خبرا عنه أو حالا منه، أو تابعا له صفة أو تأكيد أو عطف بيان أو بدل، أو عطف بحرف أو بأن يكون الأول مضافا للثاني أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل، ويكون الثاني في حكم المفاعل له أو المفعول وذلك في إسم الفاعل كقولنا: زيدا ضارب أبوه عمرا، وكقوله تعالى" أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها"[2]

إسم المفعول كقولنا: زيد مضروب غلمانه، وكقوله تعالى" ذلك يوم مجموع له الناس"[3]

الصفة المشبهة كقولنا: زيد حسن وجهه، وكريم أصله وشديد ساعده.

والمصدر كقولنا: عجبت من ضرب زيدا عمرا. أو بأن يكون تمييزا قد جلاه منتصبا عن تمام الاسم، ومعنى تمام الاسم أن يكون فيه ما يمنع من الإضافة وذلك بأن يكون فيه نون التثنية كقولنا: عشرون درهما. أو أن يكون قد أضيف إلى شيء فلا يمكن إضافته مرة أخرى كقولنا: لي ملأه عسلا. قد وضع لنا هاهنا الجرجاني الأمر بطريقة جمالية مع وجود أمثلة مشيرا للعلامات والملاحظ أن هذه الطريقة في التعليق قد ضمنت كل المعاني النحوية، وكذا العلاقات الذهنية الأربعة من إتباع وإضافة وتخصيص وإسناد.

ب-تعليق إسم بفعل:

وذلك بأن يكون فاعلا له أو مفعولا فقد يكون مصدرا قد انتصبت به، كقولك: ضربت ضربا ويقال له المفعول المطلب أو المفعول به كقولك: ضربت زيدا، أو ضرفا مفعولا فيه زمانا أو مكانا، كقولك: خرجت يوم الجمعة ووقفت أمامك، أو مفعولا معه كقولنا: جاء البرد والطيالسة، أو مفعولا له كقولنا: جئتك إكراما لك وكقوله تعالى" ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله"[4].

[1]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 08.

[2]- سورة النساء، الآية 75.

[3]- سورة هود، الآية 105.

[4]- سورة النساء، الأية 144.

أو أن يكون منزلا من الفعل منزلة المفعول وذلك في خبر كان وأخواتها والحال والتمييز المنتصب عن تمام الكلام كقولنا: طاب زيد نفسا وحسن وجها وكرم أصلا.[1]

ت-تعليق حرف بهما:

وهي الطريقة الثالثة في التعليق وقد قسمها الجرجاني إلى ثلاثة أضرب وهي:

"الضرب الأول هي أن يتوسط الفعل والاسم، فيكون ذلك في حروف الجر التي من شأنها أن تعدى الأفعال إلى مالم تعدى إليه بأنفسها من الأسماء كقولنا: مررت فلا تصل إلى نحو زيد أو عمرو فإذا قلت مررت يزيد أو على زيد، وجدته قد وصل بالياء أو على وكذلك سبيل الواو الكائنة بمعنى مع في قولنا: لو تركت الناقة وفصيلها لرضيعها بمنزلة حرف الجر في التوسط بين الفعل والاسم وإيصاله إليه، إلا أن الفرق أنها لا تعمل بنفسها شيئا لكنها تعين الفعل على عمله النصب، وكذلك حكم إلا فإنها بمنزلة الواو.

والسبب الثاني من تعليق الحرف بما يتعلق به العطف: وهو أن يدخل الثاني في عمل العامل في الأول كقولنا: جاءني زيدا وعمرو، ورأيت زيدا وعمرو.

والضرب الثالث تعليق بمجموع الجملة كتعليق حرف نفي الاستفهام والشرط والجزاء بما يدخل عليه."[2] وقد اعتبر الدكتور تمام حسان أن التعليق أخطر القضايا التي أتى على ذكرها الجرجاني، يقول:" وأما أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر على الإطلاق فلم يكن النظم ولا البناء ولا الترتيب وإنما كان التعليق."[3]

وفكرة التعليق ورغم المكانة التي تتربع عليها إلا أنها لم تكن وليدة الجرجاني بل كانت وليدة فكرة التضام والتركيب وما ينشأ بينهما من علاقات.[4]

والتعليق هو المركز الرئيسي لهذه النظرية وهو العلاقة الكائنة بين الاسم والاسم والفعل والحرف وكل منهما بالرغم من أن العلاقات تكون بين كافة أقسام الكلام، ويجب أن

[1]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 08-09.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 09.

[3]- تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 188.

[4]- ممدوح عبد الرحمان، **العربية والفكر النحوي**، ص 196.

نضيف لما سبق علاقة الحرف بالحرف والفعل والفعل وهو العلاقة الكائنة بين معاني هذه الألفاظ.[1]

5-معاني النحو:

رسم الجرجاني طريقا جديدا للبحث النحوي متجاوزا أواخر الكلمات وعلامات الإعراب، مبينا أن الكلام لا يكون واضحا إلا إذا تعقب به صاحبه قوانين النحو وأحكامه.[2]

وذلك بالاعتماد على فكرة الكلام النفسي المنسوب للذات العلمية.[3] وهذه الفكرة تعد أولى مراحل إنتاج الكلام أطلقت عليها سناء البياتي تسمية مرحلة تحديد العلاقات بين الأشياء والتي تكون على المستوى الغير مرئي في النفس أو الذهن، وهذه العلاقات أو المعاني أربعة: الإسناد والتخصيص والإضافة والإتباع، وكلها لا تحدث إلا بالتعلق وهذه المعاني هي معاني النحو وقد رأوا أن هذا المصطلح أو المفهوم يتحلى بالغموض يقول أحدهم:" ولقد كان لهذا العموم في مصطلح معاني النحو ما يبرره في تراثنا، إذ أن علم النحو في هذا التراث قد شمل كثيرا من المباحث التي يعالجها علم اللغة المعاصر."[4] بالمعاني الذهنية التي تتولد في فكر المتكلم عند نظم الجمل تلك المعاني التي تنشأ من تحديد العلاقات بين الأشياء المعبر عنها بالكلام، فتربطها ببعضها كما يربط السلك الشفاف حبات العقد.[5]هذه العلاقات وليدة النظم، وفي هذا الصدد يقول شوقي ضيف:" فالنظم بذلك هو معاني النحو التي يدور عليها تعلق الكلام بعضه ببعض."[6]

ومعاني النحو كما سلف وتطرقنا لها هي: الإسناد، التخصص، الإضافة، الإتباع.

سنحاول هاهنا تسليط الضوء على كل عنصر منها، من خلال تقديم شرح موجز لها.

ث-الإسناد:

هو عملية ذهنية ينجزها ذهن المتكلم عندما يدرك علاقة معينة بين شيئين يريد التعبير عنهما، فيتم في الذهن الربط بينهما بومضة الإسناد والتي تتم قبل أن ينطق المتكلم

---

[1]- شمس الدين، **الأنماط الشكلية لكلام العرب**، ص 147.

[2]- إبراهيم مصطفى، **إحياء النحو**، دار الآفاق العربية، ص 16.

[3]- تمام حسان، **الأصول**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م، ص 308.

[4]- نصر حامد أبو زيد، **إشكالية القراءة وآليات التأويل**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الخامسة،1999م، ص 36.

[5]- سعيد حسن البحيري، **دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**، ص 223.

[6]- شوقي ضيف، **البلاغة تطورا وتاريخ**، ص 168.

بالمسند والمسند إليه، وهو أي الإسناد في النظم معنى نحوي يربط بين كلمتين ففيهم منهما أن علاقة معينة هي علاقة الإسناد قد ربطت بينهما وتسمى أحد الكلمتين أو أحد الركنين بالمسند ويسمى الآخر بالمسند إليه."[1]وقد عرفه سيبويه:" هذا باب المسند والمسند إليه وهما مالا يغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد منه المتكلم بدا فمن ذلك المبتدأ و المبني عليه وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك يذهب عبد الله فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول يد من الآخر في الابتداء."[2] كما عرفه المهدي المخزومي:" عملية ذهنية تعمل على ربط المسند إليه والمسند."[3]

إذن كل هذه التعاريف تجمع على أن الإسناد عملية ذهنية وليس شيء شكليا فبدونه لن يتألف كلام مفيد وقد عده الجرجاني معنا نحويا وقد أشار إلى هذا عبد الفتاح لاشين بقوله:" والنظم الذي تكلم عنه الجرجاني في جوهره يتصل بالمعنى من حيث هو تصور علاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه."[4]

أركانه وأهميته:

لقد عد الجرجاني الإسناد أهم المعاني النحوية في عملية النظم لأن المتكلم لا يتمكن من بناء أي جملة مالم تبنى على المسند لهذا سمى النحاة أركانه بالمسند والمسند إليه وتتضح أهميته من خلال حديث الجرجاني عن بيت الفرزدق:

ومّا حمّلَتْ أُمُ إمرئٍ في ضلوعها أعق منّ الجَانِي عليها هجائِيًا

فإنك إذا نظرت لم تشك في أن الأصل والأساس هو القول: وما حملت أم إمرئ، وأن ما جاوز ذلك من الكلمات إلى آخر البيت مستند إليه ومبني عليه، وإنك إن رفعته لم تجد منه لشيء بيانا، ولا رأيت لذكرها معنى بل ترى ذكرك لها إن ترى هذيان.[5]

وقد أكد الجرجاني على أهمية الإسناد بقوله:" معاني الكلام كلها لا تتصور إلا فيما بين شيئين والأصل والأول هو الخبر."[6] ويقصد بالخبر هنا هو الحكم أي المسند فاعتبر

[1]- سناء حميد البياتي، **قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم**، ص 31.

[2]- سيبويه،**الكتاب**، ص 23.

[3]- مهدي المخزومي، **في النحو العربي نقد وتوجيه**، ص 84.

[4]- عبد الفتاح لاشين، **التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية**، ص 79.

[5]- سناء حميد البياتي، **قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم**، ص 32.

[6]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 355.

المسند أهم ركن في هذه العملية الذهنية، فإذا كان المسند اسما كل على الثبوت وإذا كان فعلا كل على التجدد وإذا كان الفعل مضارعا دل على تكرار الفعل وقوعه مرة بعد مرة أخرى ولا يصلح أحدهما في مكان صاحبه.

يوضح الجرجاني الفروق في الخبر ومن بينها الإثبات إذا كان بالاسم وإذا كان بالفعل، وهو يرى أن موضوع الاسم يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء، فإذا قلت زيد منطلق فقد أثبت الانطلاق فعلا من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئا فشيئا.

أما الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك كقولنا: زيد ها هو ذا ينطلق فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءا فجزء جعلته يزاوله ويجزيه.[1]

يؤكد الجرجاني الفرق بين المسند إن كان اسما أو فعلا" ولا ينبغي أن يغرك أنا إذ تكلمنا في مسائل المبتدأ والخبر قدرنا الفعل في هذا النحو تقدير الاسم كأن نقول زيد يقوم إنه في موضع زيد قائم، فإن ذلك لا يقتضي أن يستوي المعنى فيهما إستونيا لا يكون من بعد افتراق، فإنهما لو استويا هذا الاستواء لم يكن أحدهما فعلا والآخر اسما بل كان ينبغي أن يكونا جميعا فعلين أو أن يكونا اسمين.[2]

ويلاحظ في المسند أنه عندما يكون المسند فعلا يصلح للسرد وعندما يكون اسما يصلح الوصف، وقد حدد الجرجاني لتعريف المسند (الخبر) عدة وجوه:

الوجه الأول: أن تقتصر أل التعريف جنس المعنى على المخبر عنه أو المسند إليه لقصد المبالغة كقولنا: زيد هو الجواد، وعمرو هو الشجاع تريد أنه الكامل إلا أنك تخرج الكلام في صورة توهم أن الجود أو الشجاعة لم توجد إلا فيه

الوجه الثاني: أن تقصر جنس المعنى الذي تفيده بالخبر على المخبر عنه، لا على المبالغة وترك الاعتداء بوجوده في غير المخبر عنه بل على دعوى على أنه لا يوجد منه ولا يكون ذلك إلا إذا قيدت المعنى بشيء يخصصه.

[1]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 118-119.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 120.

الوجه الثالث: ألا يقصد قصر المعنى في جنسه على المذكور، لا كما كان في زيد هو الشجاع تريد أن لا تعتد بشجاعة غيره ولا كما ترى في غيره (هو الواهب المائة المصطفات).

الوجه الرابع: يبان أن المسند إليه ينطبق عليه الصفة الموجودة في المسند هو البطل المحامي، وهو المتقي المرتجى، وأنت لا تقصد شيئا من وجوه التعريف السابقة ولكن تريد أن تقول لصاحبك: هل سمعت بالبطل المحامي؟ وهل حصلت معنى هذه الصفة.

تعترض عملية الإسناد عوارض تؤثر في شكلها وفي معناها من بينها من الحذف الذي ركز عليه الجرجاني وفصل أركانه، وقد استهل كلامه بحذف المبتدأ لقول الشاعر:

اعتاد قلبك من ليلى عوائده *** وهاج أهواءك المكنونة الطلل

ربع قواء أذاع المعصرات به *** وكل حيرانٍ سارٍ ماؤه خضلٌ[1]

ثم يورد لنا مواضيع لحذف المبتدأ قال فيها النحاة وسموها بالقطع الاستئناف حيث يبدؤون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول ويستأنفون كلاما آخر يأتون فيه كثيرا بخبر من غير مبتدأ لقول الشاعر:

وعلمت أني يوم ذا *** ك منازل كعبا ونهدا

قومٌ إذا لبسوا الحديد *** تنمروا حلقا وقدا[2]

لقد وضع الجرجاني قانونا للحذف وأثره في تحسين الكلام بقوله:" وإذا عرفت هذه الجملة من حال الحذف في المبتدأ فعلم أن ذلك سبيله في كل شيء، فما من إسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به."[3]

---

[1]- ورد البيت بلا نسبة في المغني والخصائص، وذكر في الكتاب، الجزء الأول، ص 281، ونسب لعمر بن أبي ربيعة

خضل: يحمل ماء غزيرا.

[2]- نسب البيتان لعمرو بن معد يكرب، ينظر الدلائل، ص 101.

الحديد: الدروع، قدا: ج أقد تعال من جلد غير مدبوغ.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 104.

فحسن الحذف عنده كما يبدو ليس إلا في المجيء به حيث ينبغي له واستعماله في موضعه، وهذا تأكيد منه على أن حسن وجوه النحو لا يتم إلا بمراعاة المواضيع والأغراض التي يصاغ الكلام لها. والجرجاني لم يكن يعنيه من الحذف قاعدة النحاة التي تقول: لا حذف إلا بدليل سواء كان من الدليل مقاليا أم حاليا أم عقليا.[1] وما كان يعنيه حينما تناول الحذف في دلائل الإعجاز ليبين قيمته ووظيفته التعبيرية في الكلام، وقد كانت شواهد الحذف عنده آيات قلائل لأن هدفه الوصول إلى الأغراض والمواضيع فكانت إشارات واضحة إلى قيمة الحذف في الكلام، وحسن الحذف عند الجرجاني يكمن في المجيء به حيث ينبغي له واستعماله في موضعه، وهذا تأكيد منه على أن حسن وجوه النحو لا تتم إلا بمراعاة المواضيع والأغراض التي يصاغ الكلام لها.

ثم يورد لنا في موضع آخر ليستعمل أن الاختلاف في معاني النحو ينقل معنى الكلام عن صورة إلى صورة بحيث ينشأ بين وجهي التقدير المختلفين فرقان دلاليان واضح ان جدا، من غير أن يغير من لفظه شيء أو تحول كلمة من كلماته عن مكانها إلى مكان آخر ذاكرا أن هذا الضرب من الكلام هو الذي يتسع مجال التأويل و التفسير فيه حتى صرنا نجد في الكلام الواحد تأويلين أو أكثر، فهو بهذا يضع بين أيدينا كلاما مهما ومفيدا في قضايا التقدير النحوي الذي أصبح لا يهتم فيه إلا بتحليل العمل النحوي وذلك بتقدير عامل أو معمول غير ملفوظ دلت عليه حركة أو غيرها كقوله تعالى:" ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خير لكم."[2]

حيث ذهبوا لرفع ثلاثة إلى أنها خبر لمبتدأ محذوف، حيث قالوا أن التقدير(ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة)[3] وقد رأى عبد القادر أن هذا التقدير ليس بمستقيم لأن فيه والعياذ بالله شبه لإثبات أن هناك آلهة معللا هذا بأن النفي إنما ينصب على المعنى المستفاد من الخبر عن المبتدأ لا عن معنى المبتدأ كقولك: ما زيد منطلق فقد نفيت الانطلاق الذي هو معنى الخبر عن زيد ولم تنفي معنى زيد، كذلك هو تقدير الآية الكريمة ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة إذ يفهم منه نفي أن تكون عدة آلهة، كما أنك لو قلت أمراؤنا ثلاثة كنت قد نفيت أن تكون عدة الأمراء ثلاثة، وهذا يجعلنا نقر بدقة ملاحظة وفكر الجرجاني من خلال استنطاق

[1]- ابن جني، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د ت، د ط، ص 76.

[2]- سورة النساء، الآية 117.

[3]- الفراء، **معاني القرآن**، تحقيق: محمد علي النجار، الجزء الأول، ص 39.

دلالات التراكيب النحوية وربطها بين كل وجه من وجوه النحو والصورة التي يحدثها المعنى، ومنه بالتقدير الذي أتى به الجرجاني أولى فقد قال: لا تقولوا الله والمسيح وأمه ثلاثة غير محظي بالأولوية منهما في عرف النحاة غير أنه الأكثر تماشيا مع روح القرآن.

من خلال ما سبق نجد أن الحذف في الكلام عظيم جدا ولا يركبه إلا من أوتي قوة طبع متمرس على إنشاء الكلام، ويجب ربط التقدير النحوي بالمواضيع والأغراض" ينبغي أن يكون التقدير موافقا للمعنى حريصا عليه، زراعية لأخطائه متحاشيا لها."[1]

ويرى أن التراكيب العربية بعامة والأساليب القرآنية بخاصة لم تأتي مصادفة أو كيفما واتفق وإنما وضعت هذا الوضع وكانت على هذه الصيغة لأسرار فنية من حيث أن كل وضع من أوضاع التراكيب له دلالته التي تبهر ومعناه الذي يعجب ليخلص بقوله:" قد بان الأن واتضح لمن نظر نظر المثبت الحصيف الراغب في اقتداح زناد العقل والازدياد من الفضل، ومن شأنه التوق إلى أن يعرف الأشياء على حقائقها، ويربأ نفسه عن مرتبة المقلد الذي يجري مع الظاهر، ولا يعدو الذي يقع في أول الخاطر، أن الذي قلت في شأن الحذف وفي تفخيم أمره، والتنويه بذكره وأن مأخذه مأخذ يشبه السحر ويبهر الفكر كالذي قلت."[2]

ج- -التخصيص:

عندما يريد المتكلم التعبير عن أفكاره ينظم جملا، كل جملة تعبر عن فكرة تامة وعندما تدقق النظر في نظم الجمل كافة لا توجد أكثر من أربعة معاني ذهنية وهي معاني النحو تشترك في تكوينها معنى نحوي واحد مرتكز ورئيسي يبنى عليه نظم الجمل والمعاني النحوية ترتبط أي تتعلق به أو تتعلق بما ارتبط به.

فبعض الجمل تكتفي بالإسناد عندما لا يريد المتكلم من فكرته أكثر من أن يسند شيء وقد يحتاج المتكلم للتعبير عن فكرة الإسناد ومعه معنى ذهني آخر يضيق العموم في الإسناد ويحدده ويتجه به نحو التخصيص فينجز الذهن معنى ذهني آخر نسميه طبقا بوظيفته المعنوية في النظم: التخصيص. فالتخصيص إذن معنى ذهني وهو في النحو معنى نحوي يولد من عملية ذهنية ينجزها ذهن المتكلم كما أنجز الإسناد من قبل وهذا المعنى الذهني

[1]- مختار عطية، **الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز**، ص 312.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 116.

ذو اتجاهات متعددة وهو أي التخصيص يتعلق بالإسناد ويؤدي وظيفته، والحالة الإعرابية للتخصيص هي النصب.[1]

اتجاهات التخصيص:

لقد ركز الجرجاني في التخصيص على وظيفتي المفعول به والحال:

المفعول: هو ركن من أركان الجملة الفعلية التي فعلها متعد والمفعول يتعلق بالمسند فيضيف إطلاقا بتخصصه.[2] يذكر المفعول لتخصيص الإسناد ولبيان أهمية المفعول يقول الجرجاني:" هنا أصل يجب ضبطه هو أن حال الفعل مع المفعول الذي يتعدى إليه حاله مع الفاعل وكما أنك إذ قلت (ضرب زيد) فأسندت الفعل إلى الفاعل كان غرضك من ذلك أن تثبت الضرب فعلا له لا أن تفيد وجود في نفسه على الإطلاق، وكذلك إذا عديت الفعل إلى المفعول فقلت: (ضرب زيد عمرا) كان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول والثاني ووقوعه عليه."[3]

يوضح من كلام الجرجاني أن المفعول جاء لرفع اللبس وتقييد وتضيق المسند إذ جعل الضرب واقع على عمرو لا غيره، وقد ركز الجرجاني في حديثه عن المفعول به إلى إبراز أسرار ذكره وخبايا حذفه وأيضا الحكمة من تقديمه وتأخيره وقد نبه إلى أهمية حذف المفعول به فقال:" فإني أتبع ذلك ذكر المفعول به خصوصا فإن الحاجة إليه أمس، وهو بما نحن بصدده أخص واللطائف كأنها فيه أكثر، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر."[4]

ويعتبر هذا القسم الأول من حذف المفعول به وذلك إذا كان المراد أن يقتصر فيه على إثبات الفاعل فيكون مثله في ذلك مثل الفعل اللازم. وإذا كان القسم الأول ليس له مفعول مخصوص يمكن النص عليه فإن القسم الثاني على العكس إذ أن الفعل المتعدي يكون له مفعول مقصود قصده واضح، يحذف لدلالة الحال عليه وهو ينقسم إلى:

[1]- سناء حميد البياتي، **قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم**، ص 179-180.

[2]- سناء حميد البياتي، **قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم**، ص 181.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 105.

[4]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 105.

قسم جلي: لا يحتاج فيه إلى قوة فكر، ولا إلى صنعة كقولهم: أصغيت إليه، أي أدني أغضيت عليه، أي عيني.

قسم خفي: تدخله الصنعة وهو أنواع:

1- حذف المفعول للاقتصار على معنى الفعل: وذلك بأن يكون معك مفعول مخصوص جرى ذكره قبلا أو دلت عليه الحال فلا تذكره لأن غرضك أن تثبت معنى الفعل نفسه كقول البحتري:

شحو حسادِهِ وعيظٌ عداهُ *** أن يرى مبصرٌ ويسمع واعٍ[1]

2- حذف المفعول لإثبات الفعل للفاعل وتحصيله له وللدلالة على العموم، وذلك بأن يكون معك أيضا مفعول مخصوص ليس للفعل سواه بدليل الحال أو ما سبق من الكلام ولكنك لا تذكره لغرض توفير العناية لإثبات الفعل على الفاعل وتخليصه له.

3- حذف المفعول لإثبات التلازم بين فعلين :وذلك بأن يكون معك مفعول مخصوص أيضا، ولكنه يختلف عن سابقيه في أنه يربط فيه بين حدثين بحيث يجعل أحدهما موجبة لحدوث الآخر ومستلزما له لقول البحتري:

إذا بعدتْ أبْلتْ وإذا قرُبتْ شفتْ *** فَهِجْرانُهَا يُبْلِي ولُقيَانُها يُشْفِي[2]

4- حذفه للدلالة ما بعده عليه: ويكون المفعول مخصوصا أيضا مستدلا عليه من سياق الكلام نفسه، لأنه مذكور بعد ذلك وفي هذا النوع يظهر واضحا مدى اعتماد الجرجاني على أحد أبواب النحو المشهورة ألا وهو باب التنازع أو ما يدعوه بالإضمار على شريطة التفسير وذلك كقولنا: أكرمني وأكرمت عبد الله، إذ أن المعنى أكرمني عبد الله وأدركت عبد الله.

كما عني بظاهرتي التقديم والتأخير إذ بين لنا أيضا الفروق بين وجهين آخرين من وجوه تقديم الفاعل والمفعول أو تأخير أحدهما على الآخر في هذا الأسلوب، وذلك بأن يليا جميعا (إلا) كقولك: ما ضرب إلا عمرو زيدا، كان الاختصاص في الفاعل بأنه هو

[1]- البحتري، **الديوان**، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 242.

[2]- البحتري، **الديوان**، الجزء الثاني، ص 401.

الضارب لا غير وإن قلت: ما ضربت إلا زيدا عمرو كان الاختصاص في المفعول بأنه المضروب دون غيره.[1]

والملاحظ أن التقديم والتأخير يجعل الدلالة تتغير على عكس ما كانت عليه في الاختصاص وهو الأمر الذي تنبه إليه النحاة وبنو عليه بعض قواعدهم حينما تحدثوا عن وجوب التقديم للفاعل أو المفعول أو تأخيرهما، بل توجهوا بهذه النظرة إلى معمولا الفعل الأخرى كالحال والتمييز والمفعول فيه ماعد المفعول معه لأنه لا يقع في الاستثناء

الحال:

تعرض الجرجاني إلى الحال وفروقه بقيمه إلى مفرد وجملة ثم بحث في الجملة ورودها تارة بالواو وبدونها تارة أخرى مستشفا ذلك من خلال بنيتها التركيبية، كما بحث عن الأسباب والعلل التي توجب مجيء جملة الحال بالواو وبدونها مبينا الفرق الدقيق بين القسمين.

أول ما أورده هو الفرق بين الحال المفردة والجملة.

جملة الحال بالواو وبدونها وعلاقة ذلك بتركيبها:

كان القصد من هذا عند الجرجاني هو الجملة إذ ذكر أن أولى ما ينبغي ضبطه من أمرها أنها تارة مع الواو وأخرى بغير الواو، وأن في تمييز ما يقتضيها مما لا يقتضيها صعوبة [2]. والأمر راجع لتلك الواو ترد على سبيل الوجوب، وأخرى على سبيل الجواز، وأخرى يتحتم تركها، ومرة يكثر ذكرها، وأخرى يكثر حذفها.

وقد انطلق الجرجاني من الجملة الحالية المكونة من مبتدأ وخبر التي غالبا ما تجيء مع الواو نحو: جاءني زيد وعمرو أمامه هذا إذا كان المبتدأ غير صاحب الحال، فإذا كان ضميرها لذي الحال لم يصلح بغير واو نحو: جاءني زيد وهو راكب، أما إذا كان الخبر ظرفا مقدما على المبتدأ، والأكثر أن يجيء بغير واو، وقد يجيء ترك الواو فيما ليس الخبر فيه ذلك ولكنه لا يكثر كقولهم: كلمته فُوه إلي فّي.[3]

[1]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 223.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 136.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 136-137.

هذا عن الجملة الحال إذا كانت إسمية، وإذا كانت فعلية والفعل المضارع مثبت لم تجيء بالواو نحو: جاءني زيد يسعى غلامه بين يديه، وهو حكم مستمر فيها ودائم أما إذا دخل حرف النفي على المضارع تغير الحكم فتثبت بالواو في مواضع وتترك في مواضع كثيرة فما جاء بالواو كقولهم: كنت ولا أخشى الذئب، أما إذا كان ماضية جاءت جملة الحال بالواو وبدونها بشرط اقترانها (بقد) ظاهرة ومقدرة نحو قولنا: أتاني وقد جهده السير.

وأما بدونها نحو قول الشاعر:

متى أرى الصبح قد لاحت مخابِلُهُ *** والليل قد مزقت عنه السَرابِيلُ[1]

ومما يجيء مع الواو كثير الجملة نحو: أتاني وليس عليه ثبوت إلا أنها قد ترد في مواضيع بغير الواو. يلاحظ أن كلام الجرجاني عن الحال وفروقه كان نحوي الطابع، وقد استخدم لتوضيح تلك الفروق آراء النحاة أمثال: سيبويه و ابن سيراج و أبو الحسن الأخفش.

ح- الإضافة:

وهو معنى ذهني والإضافة من المقيدات أيضا ولكن طبيعة التقييد فيها تختلف عن التخصيص، لأن الإضافة نسبة تربط بين شيئين فتجعلهما شيء واحدا كقولنا: كتاب محمد فالكتاب ينسب لمحمد وهذه النسبة هي التي تربط بين شيئين وهما الكتاب ومحمد فلا يفهم بعد هذا الربط أنهما شيئان مستقلان بل يصبحان بهذه النسبة شيء واحد.[2]

والإضافة في النظم يقصد بها نسبة شيء إلى شيء أي تأليف كلمة مع كلمة يجمع بينها رابط ذهني وثيق وهو النسبة التي أطلقت عليها الدكتورة سناء حميد البياتي تسمية الإضافة كي لا تختلط بمفهوم النسبة في الإسناد والنسبة في النظم تأتي على نوعين:

01- نوع يربط بين شيئين كلمتين فيتم بفضلها التعبير عن فكرة تامة يصح السكوت عليها كنسية كقولنا الصبر

عند المؤمن إذن المؤمن صبور، وهذا النوع من النسبة يسمى إسناد.

[1]- ديوان الحماسة، مج 2، ج 4، ص 180.

[2]- سناء حميد البياتي، **قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم**، ص 235.

02- نوع يربط بين شيئين كلمتين ولكن الكلمتين لا تعتبران مع هذا الربط عن فكرة تامة وإنما

ترابط وثيق بحيث يكونان بمنزلة الكلمة الواحدة، فلا يجوز فصلهما ولا يجوز تقديم الثانية منهما على الأولى.[1]

خ- الإتباع:

أما الإتباع فهو معنى ذهني يتفرع من المعاني السابقة فإذا تفرع من دائرة الإسناد، أي تعلق به جاء مرفوعا وإن تفرع من دائرة التخصص أي تعلق به جاء منصوبا وإذا تفرع من دائرة الإضافة جاء مخصوصا.[2]

ونفس الكلام الذي أوردته سناء نجد الجرجاني قد أقر به بقوله:" ومعلوم أن فائدة العطف في المفردة أن يشترك الثاني في إعراب الأول، وأنه إذا أشركه في إعرابه فإنه قد أشركه في حكم ذلك الإعراب نحو المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله، والمعروف على المنصوب بأنه مفعول به أو فيه أو له شريك له في ذلك."[3]

لقد أدرك النحاة أن حروف العطف هي التوابع كونها تكون تفسيرا وبيانا وتوكيدا،" اعلم أن العطف يشبه الصفة والبدل من وجه ويفارقهما من وجه أما الوجه الذي أشبههما فإنه تابع لما قبله في إعرابه، وأما الوجه الذي يفارقهما فيه فإن الثاني غير الأول، والنعت والبديل هما الأول ألا ترى أنك إذا قلت: زيد العاقل، فالعاقل هو زيد، وإذا قلت مررت بزيد أخيك فزيد هو أخوك، وإذا قلت قام زيد وأخوك فأخوك غير زيد ..."[4]

إذن لقد استعمل الإمام النحوي النحو في بماء تعليلاته لمسائل العطف التي تناولها بين الجمل على أحكامه وقياسه عليها إلى درجة من الدقة، كما استطاع أن يظهر فظل النحو بأحكامه وجوهره وفروقه في معالجة أمر النظم وتلمس حقائقه في كلام العرب الفصحاء وفي نص الإعجاز.

---

[1]- سناء حميد البياتي، **النحو العربي في ضوء نظرية النظم**، ص 235.

[2]- سناء حميد البياتي، **قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم**، ص 255.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 148.

[4]- ابن يعيش، **شرح المفصل**، تحقيق: إميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى، 2001م، ج 8، ص 88.

6-معاني الكلام:

يقول الجرجاني في هذا الصدد:" اعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك عملت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، وتجعل هذه بسبب من تلك هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس وإذا كان كذلك في ما أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله، وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى إسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا أو تعمد إلى إسمي فتجعل أحدهما أفضل من الآخر أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة الأولى أو تأكيدا له أو بدلا منه أو تجئ باسم بعد تمام كلامك هو إثبات لمعنى أن يصير نفيا أو استفهاما أو تمنيا فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطا في الآخر فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد اسم من الأسماء التي ضمنت معنى هذا الاسم وعلى ذلك القياس."[1]

فالكلام إذن هو وسيلة للتعبير عن الأفكار وإيصالها للآخر، وهذا الكلام الذي ينتجه المتكلم بتنوع تبعا لدواعي الكلام، وحاجات المتكلم لينتج عنه أساليب متنوعة: كالنفي والإثبات الاستفهام والأمر والتأكيد والشرط والغرض.

والأمر الذي تؤكد عليه نظرية النظم أنه مهما اختلفت هذه الأساليب في الكلام إلا أنها تشترك كلها في المعاني الذهنية التي اصطلح عليها الجرجاني تسمية معاني النحو، وقد عني الجرجاني في مؤلفه الدلائل بكل الأساليب التي ذكرناها آنفا إلا أنه ركز ودقق على كل من أسلوب النفي والاستفهام.

المبحث الثاني: الحقل البلاغي والإعجازي.

المطلب الأول: مفهوم البلاغة.

حين تحدثنا عن قضية النظم في إطار الحقل النحوي السابق لم يكن مقصودنا من ذلك أن نفصل الجانب النحوي عن سائر الجوانب اللغوية الأخرى، بل على العكس من ذلك أردنا أن نبين صلة مفهوم النظم بالجوانب النحوية من جهة التركيب الذي أثاره سيبويه في

[1]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 45.

حديثه عن وجوه التعبير اللغوي الذي تتباين معه معاني الكلام، بسبب التقديم والتأخير والحذف والذكر والفصل والوصل وما إلى ذلك، فالنحو بمفهوم النظم أسلوب في التعبير.

والبلاغة في مفهومها العام تعني انتهاء الشيء إلى غايته المطلوبة، وبلوغه الهدف المنشود

وفي لسان العرب: بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا، وصل وإنتهى، وأبلغه هو إبلاغا وبلغه تبليغا.

أما في تاج العروس: بلغ المكان بلوغا، بالضم: وصل إليه وانتهى ومنه قوله تعالى:" لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس"

أو بلغه: شارف عليه ومنه قوله تعالى:" وإذا بلغن أجلهن" أي قاربنه.[1]

ما في الصحاح: بلغت المكان بلوغا، وصلت إليه وكذلك إذا شارفت عليه ومنه قوله تعالى:" فإذا بلغن أجلهن" أي قاربنه.

وبلغ الغلام: أدرك، والإبلاغ: الإيصال وكذلك التبليغ، والاسم منه البلاغ، والبلاغ أيضا الكفاية.[2]

أما معناه الاصطلاحي فقد أشار إليه ابن منظور بقوله:" البلاغة: الفصاحة، البِلَغُ، والبِلِغُ: البليغ من الرجال، ورجل بليغ وبَلَغ و بِلِغ حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه.

والجمع: بلغاء وقد بلُغ بالضم، بلاغة أي صار بليغا، وقول بليغ: بالغ وقد بلغ والبلاغات كالوشايات، والبِلغْن: البلاغة عن السيرافي ومثل به سيبويه، والبِلَغْنُ أيضا: النمام، والبِلغن: الذي يبلغ للناس بعضهم حديث بعض، وتبلغ به مرضه: اشتد، وبلغ به البِلغَين بكسر الباء وفتح اللام وتخفيفها عن ابن الأعرابي، إذا استقصى في شتمه وأذاه، والبُلغِين والبِلغِين: الداهية.[3]

---

[1]- محمد مرتضى حسين الواسطي الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ص

[2]- الجوهري، **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، 1982م.

[3]- ابن منظور، **لسان العرب**، الجزء الثاني، ص 144.

وقد وردت في القرآن بمعنيين أولهما الانتهاء والوصول لقوله تعالى:" لما بلغ أشده؛ آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين" [1]

وقوله تعالى:" وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم"[2]

ثانيها الفصاحة وحسن القول لقوله تعالى:" أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعضهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا"[3]

والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم، وتسميتنا للمتكلم بأنه بليغ نوع من التوسع وحقيقته أن كلامه بليغ، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه كما نقول: فلان رجل محكم وتعني أن أفعاله محكمة، قوله تعالى:" حكمة بالغة فما تغني النذر"[4]

وقد اختلف العلماء قديما في تحديد مفهوم البلاغة حيث أورد ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة طائفة من أقوالهم منها:

- سئل بعض البلغاء: ما البلاغة؟ فقال: قليل يفهم وكثير لا يسأم، وسأل آخر

فقال: معان كثيرة في ألفاظ قليلة، وقيل لأحدهم ما البلاغة؟ فقال: إصابة المعنى وحسن الإيجاز، وسأل بعض الأعراب من أبلغ الناس؟ فقال: أسهلهم لفضا وأحسنهم بديهة. وقال خلف الأحمر: البلاغة لمحة دالة. وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: البلاغة كلمة تكشف عن البقية. وقال المفضل الضبي: قلت لأعرابي ما البلاغة عندكم؟ فقال: الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غير خَطَل. وكتب جعفر بن يحي بن خالد اليرموكي إلى عمرو بنمسعدة: إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيرا، فإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيبا. وقال آخر: البلاغة معرفة الفصل من الوصل. وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة الدلالة. وقيل لأرسطو طاليس: ما البلاغة؟ قال: إصابة المعنى والقصد إلى الحجة. وقيل

[1]- سورة **يوسف**، الآية 22.

[2]- سورة **النحل**، الآية 27.

[3]- سورة **النساء**، الآية 63.

[4]- ابن عبد الله شعيب أحمد، **بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية**، دروس ودراسات، ابن خلدون للنشر والتوزيع، 2004م، ص 11.

لإبراهيم ما البلاغة؟ قال: الجزالة والإطالة. وقال البحتري يمدح محمد بن عبد الله بن الزيات حين استوزر ويصف بلاغته:

ومعان لو فصلتها القوافي *** هجنت شعر جرول ولبيد

حزنَ مستعملَ الكلام *** وتجنبن ظلمة التعقيد

وركينَ اللفظِ القريب فأدرك *** ن به غاية المراد البعيد[1]

وسئل ابن المقفع ما البلاغة؟ فقال: إسم لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكون، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا، ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون في الحديث ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون خطبا ومنها ما يكون رسائل، فعامة هذه الأبواب الوحي فيها الإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة.[2]

وقال أبو الحسن علي بن عيسى الرماني:" أصل البلاغة الطبع، ولها مع ذلك آلات تعين عليها وتوصل للقوة فيها، وتكون ميزانا لها، والصلاة بينها وبين غيرها وهي ثمانية أضرب" الإيجاز، والاستعارة، والتشبيه، والبيان والنظم، والتصرف والمشاكلة والمثل.[3]

رأينا فيما سلف صورة عن البلاغة، أما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ومقتضى الحال مختلف تبعا لتفاوت مقامات الكلام.

إستغل البلاغية هذه المعاني البلاغة و ربط بين اللفظ والمعنى، وهذه هي نظرية النظم فهذه النظرية تتفق وحرص علماء البلاغة من خلال تعليقاتهم على ربط اللغة بالفكر، مع تحقيق ما يسعون إليه دائما، وهو تحقيق البلاغة من أقرب طريق من خلال التراكيب" اللفظ و المعنى" و العلاقة الوسيطة بين هذه التراكيب وهو ما سمي بنظرية النظم.[4]

بين الفصاحة والبلاغة:

[1]– ديوان البحتري، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، ص 329.

[2]– ابن رشيق، **العمدة**، تحقيق: محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م، الجزء الأول، ص 420.

[3]– ابن رشيق، **العمدة**، ص 419.

[4] - أحمد محمد سعيد أبو دنيا، **الفكر اللغوي عند عبد القاهر الجرجاني**، 2010/10/17م.

الفصاحة في اللغة تعني الظهور والإبانة وهي في قولهم: أفصح فلان عما في نفسه إذ أظهره والدليل على ذلك قول العرب: أفصح الصبح إذ أظهر وأبان، وأفصحت اللبن إذ انجلت عنه رغوته فظهر. وفي قوله تعالى:" وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون"[1]

وقد إن قسم رواد البلاغة إلى قسمين:

المتقدمون والإمام عبد القاهر الجرجاني ومن سار على نهجه يرون أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات، وإنما يوصف بها الكلام مع توخي معاني النحو فيما بين الكلم بحسب الأغراض التي يصاغ لها يقول الجرجاني:" فصل في تحقيق القول على الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك مما يعبر عن فضل بعض القائلين بعض من حيث نطقوا تكلموا وأخبروا السامعين عن الأعراض والمقاصد."[2] ويقول الرازي في نهاية الإيجاز:" وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما."[3]

أما المتأخرون كأبي يوسف السكاكي وابن أثير فهم يرون أن إخراج الفصاحة من كتف البلاغة، فلكل منهما مجاله الخاص ويجعلنا الفصاحة لا تتحقق إلى بسلامتها من أربعة عيوب:

1- تنافر الحروف:

تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها مثل لفظة **مستشزرات** من قول إمرئ القيس:

غدائره مستشزرات إلى العلا *** تظل العقاس في مثنى ومرسل[4]

2- غرابة اللفظ:

وهي أن تكون الكلمة غريبة المعنى غير مألوفة الإستعمال عند فصحاء العرب

[1]- سورة **القصص**، الآية 34.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 35.

[3]- الفخر الرازي، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1992م، ص 37.

[4]- ديوان إمرئ القيس، دار صادر، بيروت، لبنان، ص 44.

والبلاغيون ينكرون الألفاظ الغريبة التي لم يألفها السامع أو يعرف دلالتها المعنوية الخاصة، لأنها تعمل على إغلاق النص وإبهامه، إلا أنهم يؤكدون على وجوب عدم ابتذالها يقول الجاحظ:" وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاما ولا ساقطا سوقيا فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا، إلا أن يكون المتكلم يدويا أعرابيا، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس."[1]

3- مخالفة القياس:

مثل لفظة الأجلل التي وردت في بيت من أرجوزة طويلة لأبي النجم الفضل بن قدامة العجلي أحد رجاز الإسلام والتي منها:

الحمد لله العلي الأجل

والشاهد هنا هو مخالفة القياس في قوله الأجلل إذ القياس الأجل بالإدغام.

4- الكراهة في السمع:

وهي أن تمج الكلمة الأسماع، وتأنف منها الطباع لحوشيتها وغلظتها، ذلك لأن لجرس الكلمة ووقع التأليف أصوات حروفها على الأذن دورا هاما في إثارة الانفعالات الخاصة المناسب.

يقول ابن سنان الخفاجي:" فإنك تجد في الجرش تأليف يكرهه السمع وينبو عنه.[2]

هذا ما يتعلق بفصاحة اللفظ أو المفرد، أما فصاحة الكلام أو التركيب فقد تمثلت في أربع أمور هي:

1-ضعف التأليف:

هو أن يخرج الكلام على قواعد اللغة المطردة كرجوع الضمير على المتأخر لفظا ورتبة في قول حسان بن ثابت:

فلو كان مجدا يخلد اليوم واحدا *** من الناس أبقى مجده اليوم مطعما[1]

[1]- الجاحظ، **البيان والتبين**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الجزء الأول، ص 144.

[2]- ابن سنان الخفاجي، **سر الفصاحة**، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، طبع محمد علي صبيح، ص 56.

بالضمير في مجده يعود إلى مطعما وهو متأخر في اللفظ كما نرى في البيت وفي الرتبة لأنه مفعول به، ورتبة المفعول به متأخرة على رتبة الفاعل فالبيت لهذا غير فصيح.

2-تنافر الكلمات:

ويعني أن يسبب اتصال بعض ألفاظ الكلام ببعض ثقلا على السمع وصعوبة في النطق بها، لأن النطق بالحروف المتقاربة في مخارجها أشبه بالمشي المقيد، لقول أبي تمام في قصيدة يمدح فيها أبا الغيث موسى بن إبراهيم ويعتذر إليه:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى *** معي ومتى ما لمتهلمته وحدي[2]

فالتنافر هنا ولده في قوله **أمدحه** من الثقل لقرب مخرج الحاء من مخرج الهاء، لأن مخارج الحروف كلما قربت كانت الألفاظ قلقة وغير مستقرة في أماكنها، يقول القرطاجني:" والتلاؤم يقع في الكلام على أنحاء منها أن تكون حروف الكلام بالنظر إلى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها، وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها منتظمة في حروف مختلفة متباعدة المخارج مرتبة الترتيب الذي يقع فيه حقه واشكال."[3]

3-التعقيد اللفظي:

يشترط في فصاحة الكلام أو الترتيب أن يسلم من التعقيد اللفظي الذي يترتب عليه خفاء الدلالة على المعنى المراد في الكلام بسبب تأخير الكلمات أو تقديمها عن مواطنها الأصلية، أو بالفصل بين الكلمات التي يجب أن تتجاوز ويتصل بعضها ببعض لقول الفرزدق مادحا إبراهيم المخزومي:

وما مثله في الناس إلا مملكا *** أبو أمه حي أبوه يقاربه

فيرون أنه لم يذهب برونق هذا البيت ويفقده قيمته وقدرته في التأثير، إلا كون ترتيب ألفاظه قد جاء على ترتيب معانيها، مما أحدث بإهمال في المعنى أفقده قيمته، وكان على الشاعر حتى يحقق الوضوح في الدلالة على المعنى الذاتي الذي يريد نقله أن يرتب ألفاظه حسب الترتيب الذهني فيقول: وما مثله في الناس حكي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه وإن

---

[1]- ديوان حسان بن ثابت، دار صادر، بيروت، ص 220.

[2]- ديوان أبي تمام، تقديم وشرح: محي الدين صبحي، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م، ص 291.

[3]- حاتم القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، 1966م، ص 222.

المتلقي يشعر أن الشاعر قد تكلف التعقيد تكلفت خالف به سجية نفسه وطبعها في الاسترسال، لم يعرض له شيء من هذا التعقيد.[1]

4-التعقيد المعنوي:

يشترط في فصاحة الكلام أن يسلم من التعقيد وهو استعمال الكلمات عند إرادة التعبير عن معنى خاص في غير معانيها الحقيقية، وبذلك يضطرد التعبير ويصعب الوصول إلى المعنى المراد لقول عباس بن الأحنف

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا ***وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

فالمعنى الذي قصده الشاعر في هذا البيت هو: أطلب وأريد البعد عنكم أيها الأحبة لتقربوا، إذ من عادة الزمان الإتيان بضد المراد فإذا أريد البعد يأتي الزمان بالقرب، وكذلك أطلب الحزن الذي هو لازم البكاء لأحصل على السرور. فالشاعر أراد أن يكنى هنا بالجمود لظنه أن الجمود هو خلو العين من البكاء مطلقا من غير اعتبار شيء آخر، وقد أخطأ الشاعر في اعتقاده، فجمود العين هو خلوها من الدمع أو بخلها بالدمع الذي لازم البكاء عند إرادة البكاء منها. فالجمود لا يكون كناية عن السرور بل عن البخل، وبهذا يكون الانتقال من جمود العين إلى بخلها بالدموع لا إلى قصد الشاعر بالسرور.

لقد تنبه سيبويه إلى الكثير من المسائل المرتبطة بموضوعات البلاغة في سياق تعليقاته على تباين أساليب العرب والمقاصد من خلال أبواب النحو المختلفة" الحذف والذكر والتقديم والتأخير ... " وكشف عن مظاهر ذلك من خلال تتبع مختلف الوجوه النحوية التي يحدث بسببها التباين في التعبير عن المعنى الواحد بصيغ مختلفة.

النحو البلاغي:

لا شك أن عبد القاهر الجرجاني فتح باب التذوق البلاغي على مصراعيه، و أنه إنطلق بالنحو نحو مفهوم جديد فالنحو عنده كما أشرنا إليه بعيدا عن المفهوم القديم الشكلي الذي يخضع لقواعد شكلية لابد منها، وبهذا يكون أول عالم أخرج النحو من نطاق شكليته وسلم

[1]- ابن أثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، 1990م، الجزء الثاني، ص 229.

به فوق الخلافات، وأخضعه لفكرة النظم و أخضع فكرة النظم إليه، و أصبح النظم الذي يرتبط بالنحو أو النحو الذي يعود إليه النظم مباحث في الأسرار البلاغية.[1]

المطلب الثاني: قضية اللفظ والمعنى.

إن قضايا النقد العربي القديم قضايا متعددة فريدة، أسألت من المداد الشيء الكثير، وما تزال موضوعاته خصبة للبحث والدراسة ولعل قضية اللفظ والمعنى تبقى على رأس هذه القضايا التي نشب حولها الخلاف بين متعصب للفظ، وآخر لا يرى سوى المعنى شيئا يدعو للاهتمام به، ومذهب ثالث وسيط يحاول التوفيق بين الرأيين. وإن قضية اللفظ والمعنى ليست عربية قديمة، بل هي قضية إنسانية إذ لا يمكن أن تؤرخ لها بنشأة البلاغة العربية، فقد كان لهذه القضية حضور في الفكر الغربي واليوناني على وجه الخصوص، والمتمثل في فلسفة كل من أفلاطون وتلميذه أرسطو.

أما من الناحية الداخلية فالقضية تعود في أول ظهور لها إلى الفرق الكلامية من أشاعرة ومعتزلة وجهمية ...، وقصة التمييز بين القرآن الموجود بين أيدينا والكلام النفسي خاصة مع الأشاعرة. إذن قضية اللفظ والمعنى في النقد العربي القديم هي تلك المشكلة النقدية الأكثر شيوعا في الساحة النقدية والعربية، التي حازت من الاهتمام الشيء الكبير سواء من قبل النقديين أو البلاغيين أو حتى من طرف علماء الكلام من الفرق الكلامية، ولعل هذا الأخير هو السباق في إبداء آرائهم وإعطاء مواقفهم خصوصا مع فتنة خلق القرآن وما أثير حولها من أسئلة:

هل القرآن مخلوق لم يكن ثم كان، أي محدث؟ أم أنه كلام الله قديم أزلي وليس بمخلوق؟ [2]

إن قضية اللفظ والمعنى مشكلة موغلة في تاريخ الدراسات البلاغية والنقدية، تمثل صورة من صور التفكير المنطقي للشعر واللغة، لأنها كبرى القضايا التي شغلت الأقدمين منذ القرن الثالث هجري ولعل تاريخ هذه القضية يبدأ أساسا بعد نزول القرآن الكريم وحيرة العرب في تفسير أسباب إعجازه، إضافة إلى نشاط الحركة العقلية والترجمات التي رافقت الفكر العربي في ظل الاحتكاك بالثقافة الأجنبية وخاصة الفلسفة اليونانية، حين إذ بدأ

[1] علي نصوح علي مواسي، **النحو البلاغي وعلاقته بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني.**
[2] - عادل هادي حمادي العبيدي، **قضية اللفظ و المعنى**، كلية الآداب جامعة الأنبار، العدد 201، 2013م ص 201.

التفكير في الألفاظ شيء منفصلا عن المعنى أو في المعنى مجردا من اللفظ ثم وضح هذا الانفصال عندما ظهر المتكلمون واشتد النزاع حول قضية الإعجاز. وقد بدأت تتضح معالم قضية اللفظ والمعنى على شكل خطرات فيما أورده بشر بن المعتمر في صحيفته القيمة التي نقلها الجاحظ في كتابه البيان والتبين ومما أورد فيها" ... وإياك والتوعر فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك، ومن أراد معنا كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف هو اللفظ الشريف، ومن حولهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما.[1]

إن العلاقة بين اللفظ والمعنى موضوع عريق منذ زمن بعيد، إذ لا تجد أحد من العلماء إلا وضرب سهما في مجال البلاغة أو اللغة أو النقد إلا والعلاقة بين اللفظ والمعنى كانت إحدى أغراضه ويرجع الأمر إلى أهميتهما في العلوم اللغوية والبلاغية، وهي تمتد في إطارها التاريخي إلى سقراط أفلاطون وأرسطو لتكون هذه النظرية ضمن إحدى المواضيع التي تطرق لها في مقال رصدو فيه نظرة العلماء العرب القدامى وغيرهم من الهنود والسريان و اللغويين الغربين المحدثين والعرب المحدثين، ويقع الباحثون على أن دارسي البلاغة والنقد انقسموا إزاء قضية اللفظ والمعنى إلى طوائف وهم: أنصار اللفظ وأنصار المعنى وأنصار النظم. وأسعى هاهنا إلى تقصي هذه الطوائف على الشاكلة التالية:

1- الجاحظ:

يحدد الجاحظ موقفه من قضية اللفظ والمعنى فيقول:" وأنا رأيت أبا عمرو الشيباني، وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين:

لا تحسبن الموت موت البِلى *** فإنما الموت سؤال الرِجال

كلاهما موت ولكن ذَا *** أشد من ذَاك لذُلِ السؤالِ

وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وأخيرا اللفظ، وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير.[2] والظاهر من هذا القول أن الجاحظ يعيب على الشيباني

[1]- الجاحظ، **البيان والتبين**، ص 135.

[2]- الجاحظ، **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1996م، الجزء الخامس، ص 65.

احتفاءه بالمعنى لأنه يرى أن المعاني قدر مشترك بين الناس كوصف الجواد بالبحر والشجاعة بالأسد، ولا يقصد المعاني التفصيلية والجزئية التي تحدث في نظم الكلام ضمن السياق، وهو بهذا لا ينكر المعاني. بالمعاني عند الجاحظ عامة، أما المفاضلة فتكمن في اللفظ، وليس اللفظ عنده مجرد كلمات تعبر عن فكرة وإنما هو الصياغة بتعبير واسع المدلول أي" التعبير الفني أو الصورة الشعرية" يقول:" إنما الشعر صناعة وضرب من الصيغ وحسن من التصور."[1]

فالجاحظ الذي لم يسمع بشعر يرضيه غير شعر عنترة إذ يقر أن الشاعر قد أجاد الوصف إلى الحد الذي تحامى معناه جميع الشعراء فلم يعرضوا له.

2- ابن قتيبة:

نظر ابن قتيبة لقضية اللفظ والمعنى بمنظوره الخاص، فاللفظ عنده يعني النظم الممثل في اللفظ المفرد والوزن والروي، أما المعنى فيعني به الفكرة التي تبين عنها الأبيات ويتضح مفهومه للفظ والمعنى من خلال تعليقه على بيتين للمرقش هما:

هل بالديار أن تجيب صممْ *** لو كان رسمٌ ناطقًا كلمْ

يأتي الشباب الأقورين ولا *** تغبط أخاك أن يقال حكم

ففي هذا الصدد يقول والعجب عندي من الأصمعي إذ أدخله في متخيره، وهو شعر ليس بصحيح الوزن، ولا حسن الروي ولا متخير اللفظ، ولا لطيف المعنى[2] وإذا ما تأملنا هذا الشرح وجدنا ابن قتيبة يجعل معاير للجودة والرداءة في اللفظ والمعنى اتضحت من خلال حصره للشعر في أربعة أضرب، يقول تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب:

- ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه، كقول أوس بن حجر في مرثيته:

أيتها النفس أجملي جزعا *** إن الذي تحذرين قد وقع[3]

- ضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى كقول القائل:

[1]- عبد القاهر الجرجاني، **أسرار البلاغة**، قراءة وتعليق: محمد محمود شاكر(أبو فهي)، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الأولى، 1991م، ص 05.

[2]- ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، راجعه وأعد فهارسه: الشيخ محمد عبد المنعم عريان، دار إحياء العلوم، بيروت، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، 1994م، ص 90.

[3]- ديوان أبو نواس بن حجر، تحقيق وشرح: الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ص 53.

ولما قضينا من منى كل حاجة *** ومسح بالأركان من هو ماسح

وشهدت على حسب المهاري رجالنا *** ولا ينظر العادي الذي هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا *** وسألت بأعناق المطي الأباطح[1]

يرى ابن قتيبة هاهنا أن هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع، وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته ولما قطعنا أيام منى و استلمنا الأركان، وعالينا إلينا الأنضاء، ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح ابتدأنا في الحديث وصارت المطي في الأبطح[2],لقد كان ابن قتيبة يذكر الضرب ويمثل له بأسلوب تقريري خال من التعليل، وأن المعنى عنده لا يعدو أن يكون معنى أخلاقيا مفيدا، ليست معاني الشعر مطلقة متضمنة حسن التعبير عن الحال والموقف أو التصوير للشيء تصويرها فيه لإشباع حس الشاعر وشعوره.[3]، ويريد ابن قتيبة باللفظ التأليف والنظم: يريد الصياغة كلها بما تضمنها من لفظ وزن وروي، ويريد بالمعنى الفكرة التي بين عليها البيت أو الأبيات.[4] وبهذا فإن ابن قتيبة قد سوى بين عنصري اللفظ والمعنى ظاهريا، إلا أن تسويته بينهما ليست على أساس انصهار أحدهما أحدهما في الآخر، بل تسوية شكلية لا أكثر أهملت الشكل على حساب المعنى الحقيقي.

3- ابن طباطب:

تناول ابن طباطب قضية اللفظ والمعنى في مؤلفه عيار الشعر إذ يرى أن العلاقة القائمة فيما بينهما كعلاقة الروح بالجسد، وهو ينسب هذا الرأي إلى أحد الحكماء:" للكلام روح وجسد، فجسده النطق وروحه معناه."[5]

---

[1]- ينظر، ملحق ديوان كثير عزة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1971م، ص 525.

[2]- ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ص 66.

[3]- زغلول سلام، **تاريخ النقد الأدبي من القرن الخامس إلى العاشر هجري**، دار المعارف، القاهرة، الجزء الثاني، ص 116.

[4]- طه إبراهيم، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1985م، ص 118.

[5]- محمد بن أحمد العلوي بن طباطب، **عيار الشعر**، تحقيق: طه الحاجري و محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1980م، ص 19.

وهذا يجعل الصلة بين اللفظ والمعنى أوضح مما رسمه ابن قتيبة، فالعلاقة بين اللفظ والمعنى عند ابن طباطب علاقة حيوية أساسها التآزر الحيوي إذ لا يمكن الفصل بينهما وكل منهما يأثر في الآخر. يقول:" وللألفاظ معاني تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها فهي لها كالمعرض الجارية الحسناء التي تزداد حسنا في بعض المعارض دون بعض، وكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي أبرز فيه، وكم معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه ... وكم من جوهرة نفيسة قد شينت القرينة لها بعيدة منها فأفردت عن أخواتها المشكلات لها ... وكم من حكمة غريبة قد ازدريت لرثاثة كسوتها، ولو جليت في غير لباسها ذلك أكثر المشيرون إليها ..."[1]

1-أبو هلال العسكري:

صار أبو هلال العسكري في دراسته لقضية اللفظ والمعنى على نهج سابقيه مقدمة بن جعفر وابن طباطب مرددا أقوال الجاحظ، مهتما بالشكل رافعا من شأنه جاهلا منه مجال البراعة والجودة في الأدب، والفصاحة عنده محصورة في اللفظ دون المعنى فمن شرط البلاغة أن يكون المعنى مفهوما واللفظ مقبولا.

يقول:" إن البلاغة إنما هي إفهام المعنى فقط، فقد جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة ...[2] لقد صرح الجرجاني بتلازم اللفظ والمعنى في الحسن والمزية، فإننا نجده يقنع من المعنى في الإصابة ولا يقنع من اللفظ في بذلك، ولعل قناعة أبي هلال العسكري بصواب المعنى دون اللفظ مرادها بمقولة الجاحظ:" والمعاني مطروحة في الطريق ..." ولكن لم يدرك أن الجاحظ لم يرد بالمعاني المطروحة معان الشعر القائمة على الإيحاء والإثارة والتصوير، بل أراد بها المعاني العامة كالفضائل والمعاني الخلقية وهذه المعاني هي التي يقنع منها بالإصابة أما معاني الشعر فينبغي أن يحرص على إجادتها، وبلوغ الغاية في الإيحاء والتأثير.[3] إذن البلاغة عنده إيضاح المعنى وتحسين اللفظ، وهما شرطان أساسيان للبلاغة التي لابد فيها من التصوير والوضوح.

2-ابن رشيق القيرواني:

[1]- محمد بن أحمد العلوي بن طباطب، **عيار الشعر**، ص 11.

[2]- أبو هلال العسكري، **الصناعتين" الكتابة والشعر** "، ص 21-13.

[3]- بسيوني عبد الفتاح فيود، **دراسات بلاغية**، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، 1989م، ص 35.

ربط ابن رشيق بين اللفظ والمعنى وجعلهما متلازمين ملازمة الروح للجسد، مترابطين مرابطة الثوب بمادته، قائلا: اللفظ جسم روحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه كما يعرض لبعض الأجسام من العصر والعوج والشلل، وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ، كالذي كان يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح، ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح فإن اختل اللفظ كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى، لأن لم نجد روحا في غير الجسم البتة.[1] فبهذا اللفظ والمعنى متلازمين وضعف أحدهما يؤدي لضعف الآخر، واختلال أحدهما يفسد الآخر ويجعله ميتا لا فائدة فيه ولا ثمرة منه. والملاحظ أن ابن رشيق يجيز سلامة المعنى مع اختلال اللفظ واستقلال الروح عن الجسد مع تأكيده على ترابطهما.

يقول العشماوي:" أن تقضي على هذه الثنائية التي شاعت بين اللفظ والمعنى أحدا طويلا، ولكن ابن رشيق لم يعالج هذه القضية في كتابه على أسس منهجية وذوقية كما فعل عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم."[2]

وبعد هذا الطرح الموجز العمالقة النقاد الذين أقبلوا على دراسة قضية اللفظ والمعنى، يتبين لنا أن عنايتهم ودراستهم كانت منصبة على الفصل بين اللفظ والمعنى متغاضين عن أن الإبداع الأدبي يقضي التلازم فيما بين اللفظ والمعنى، كما مال كلهم إلى العناية بالشكل الخارجي للشعر ليضحي ضربا من الصناعة وبذلك قدموا اللفظ وأخروا المعنى كما لم يفهموا طبيعة اللغة والشعر إذ اعتمدوا في دراستهم وتحليلهم على نتف الأبيات لا العناية بالقصائد كاملة وبهذا افتقرت دراستهم إلى المنهجية العلمية التي تتناول الشكل والمضمون معا. والملاحظ الواجب تدوينها هي أن، أن أغلب النقاد كانوا إلى جهة اللفظ والانتصار له على حساب المعنى، بدليل قوله:" اللفظ أغلى من المعنى ثمنا، وأعظم قيمة، وأعز مطلبا،

[1]– ابن رشيق، **العمدة**، تحقيق: محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م، الجزء الأول، ص 252.

[2]– محمد زكي العشماوي، **قضايا النقد الأدبي والبلاغة**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 1968م، ص 294.

فإن المعاني موجودة في طباع الناس، يستوي فيها الجاهل والحاذق، ولكن العمل على جودة الألفاظ، وحسن السبك وصحة التأليف."[1]

قضية اللفظ والمعنى في النقد العربي القديم:

في المشرق الإسلامي:

لقد كانت المكانة التي يحتلها الشعر عند العرب العامل الرئيسي وراء نشأة العديد من القضايا و الآراء النقدية، التي كانت الغاية منها تجويد هذا الشعر و الحفاظ على قيمته الفنية و الجمالية و لهذا رأيناهم يثيرون حوله العديد من القضايا من قبيل:

قضية اللفظ والمعنى.

قضية المطبوع أو المصنوع أو الطبعة و الصنعة.

قضية الوحدة و الكثرة في القصيدة.

قضية الكذب و الصدق في الشعر.

قضية المفاضلة أو الموازنة بين شعرين أو شاعرين.

قضية السرقات الشعرية.

قضية عمود الشعر.

قضية العلاقة بين الشعر و الأخلاق أو الشعر و الدين.[2]

يتفق معظم الباحثين أن البداية الأولى لقضية اللفظ و المعنى تعود للجاحظ، بالإضافة إلى رأيه في أقسام البيان عامة و ملاحظاته المتعلقة بالظاهرة اللغوية، و من جهة أخرى فإن الجاحظ على عكس ما ذهب إليه عدد من الدارسين من أنه من الذين ينتصرون للألفاظ على حساب المعاني، وقد كان من أصحاب المشاكلة و المطابقة بين اللفظ و المعنى.[3]

في الغرب الإسلامي:

[1] – ابن رشيق القيرواني، **العمدة**، ص 127.
[2] - إحسان عباس، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، ص 25.
[3] - عمر اسراطي، **في قضية اللفظ والمعنى، 29/12/2016م.**

خاض نقاد الغرب الإسلامي مختلف القضايا التي طرقها النقد المشرقي و إن لم يكن بنفس الجدة التي شهدت بالمشرق أمثال ابن رشيق القيرواني و المراكشي و ابن خلدون وحازم القرطاجني، وقد يموت إلى تأكيد فكرة التناسب المبدئي بكون القصيدة تركيبا متناسيا من مستويات متنوعة ترتد إلى أساليب و معاني مصوغة في ألفاظ تتلاحم في نظام جامع لشتات مركب من أغراض.[1]

و فكرة التناسب هذه لا يمكن أن تتم البتة إلا من خلال التناسب بين اللفظ والمعنى

قضية اللفظ والمعنى عند المحدثين العرب:

يقول أحمد فارس شدياق في كتابه الساق على الساق إن كل حرف يختص بمعنى من المعاني دون غيره وهو من أسرار اللغة التي قل من تنبه لها، أما الصبحي صالح لم يؤيد وجود صلة بين الألفاظ والمعاني فيقول: "أما الذي نحن الأن نريد بيانه فهو ما لاحظته علمائنا من مناسبة حروف العربية ومعانيها وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة الموحية".

يقول محمد المبارك:" للحرف في اللغة العربية إيحاء خاصا، فهو إن لم يكن يدل على دلالة قاطعة على المعنى يدل دلالة اتجاه و إحياء ويثير في النفس جوا يهيئ لقبول المعنى ويوجه إليه ويوحى به.

وهناك وجود منكرين لصلة بين اللفظ و المعنى أمثال عبد الراجحي فإنه ينكر وجود مناسبة بين الألفاظ ومعانيها فيقول:" غير أن اقتناع ابن جني بهذا الرأي، وإعجاب الدكتور صبحي صالح به لا يمنع من التأكيد على أن أهل اللغة العربية بوجه عام يطبقون على رفضه ويرون أنه ليس هناك مناسبة بين اللفظ ومدلوله وليس هناك علاقة بين رمز الشيء والذي يرمز إليه".

ويقول إبراهيم أنيس:" و الأمر لم يبدو واضحا في علاج كل هؤلاء الباحثين هو وجوب التفرقة بين الصلة الطبيعية الذاتية والمكتسبة، ففي كثير من ألفاظ كل لغة نلحظ تلك الصلة بينها وبين دلالتها، ولكن تلك الصلة تنشأ مع الألفاظ وتولد بولدها وتكسبها اكتسابا بمرور الأيام وكثرة التداول و الإستعمال.

[1] - عمر اسراطي، **في قضية اللفظ والمعنى.**

العلاقة بين اللفظ والمعنى عند غير المحدثين العرب:

لقد تفاوتت أراء المحدثين الغربين في ربط العلاقة بين الألفاظ والمعاني إذ لم يستقروا على رأي موحد، فهناك من يرى وجود علاقة طبيعية بين الألفاظ ومعانيها ومن هؤولاء:

همبلت: يرى أن اللغات بوجه عام تؤثر التعبير عن الأشياء بواسطة ألفاظ أثرها في الأذان يشبه أثر تلك الأشياء في الأذهان، بيد أن همبلت حين إفتقد تلك الصلة في معظم كلمات اللغة ووجدها غامضة، إدعى أن الصلة بين أصوات الكلمات ومدلولاتها قد أصابها بعض التطور واختفت مع توالي الأيام.

وإذا كان جسبريسن ممن ينتصر لأصحاب المناسبة بين الألفاظ ومعانيها فإنه في الوقت نفسه يرى أن هذه الظاهرة لا تكاد تطرد في لغة من اللغات، وإن بعض الكلمات تفقد هذه الصلة على مر الأيام في حين أن كلمات أخرى تكتسبها وتصبح فيها واضحة بعد أن كانت لا تلحظ فيها.

وهناك من ينفي وجود علاقة طبيعية بين الألفاظ ومعانيها ومنهم:

مدفيج: الذي عارض همبلت وأورد كثيرا من كلمات الفصيلة الهندية الأوروبية تناظر في دلالتها تلك الكلمات التي استدل بها همبلت، وتخالفها في الأصوات.

ستيفن أولمان الذي نفى وجود علاقة طبيعية أو ذاتية بين الألفاظ ومعانيها واستدل بقول جوليت على لسان شكسبير:" ماذا في اللفظ ؟ إن ما نسميه وردة سوف تحتفظ برائحته الزكية فيها لو سميتها بإسم آخر".

يظهر مما مضى أنه لا يمكن أن نرفض أو تقبل نظرية العلاقة بين اللفظ و المعنى لأن ألفاظ اللغة وعلاقاتها جم غفير ولا نستطيع أن نطلب كهذه الظواهر في اللغة العربية.

أسباب الاهتمام بقضية اللفظ والمعنى:

تعددت الأسباب ما بين الأسباب التاريخية و الثقافية الحضارية التي سنوردها على النحو التالي:

الصراع الذي كان يدور بين المتعصبين للعروبة وبين أنصار الشعوبية إلى صراع بين اللفظ و المعنى، فقد سادت فكرة مؤداها أن الألفاظ للعرب– فالعرب تمهروا في ذلك ولهم قصب السبب في اختراع الألفاظ– و المعاني من نصيب العجم.

مما دفع بعض الباحثين عن الإعجاز في القرآن الكريم إلى العناية بالجانب اللغوي في القرآن باعتباره المظهر الوحيد للتحدي في القرآن الكريم.

اختلاف العلماء حول قدم القرآن وخلقه وتعود جذور القضية حول هل القرآن نزل بلاده أم معناه دون لفظه.

إتصال البلاغين و النقاد العرب بالثقافات النقدية الوافدة خاصة كتابات اليونانيين حول الشعر.[1]

ومن خلال ما سلف يتضح لنا أن النقد العربي القديم بقضاياه و موضوعاته ونقده كان نقدا مثاليا، جمع جوانب هذا الشعر الشكلية و المضمونية و غيرها بهدف تحقيق واحد هو تجويد الشعر و الحفاظ على بريقه.

[1] - أحمد محمود سعيد أبو دنيا، **الفكر اللغوي عند عبد القاهر الجرجاني.**

المطلب الثالث: رد فعل الجرجاني على أنصار اللفظ وعلى أنصار المعنى.

رد فعل الجرجاني على أنصار اللفظ:

شعر عبد القاهر الجرجاني بالخطر على البلاغة ومستقبلها نتيجة تعصب الطوائف المختلفة لآرائها، فهناك من يرى أن المزية في العمل الأدبي ترجع إلى اللفظ، وهناك من رجح كفة المعنى على حساب اللفظ ... وهذا ما رفضه عبد القاهر الجرجاني وأبى أن يقدم نظريته ومفاهيمه في البلاغة القائمة على الأسس العلمية والحجج الدامغة، فقد كان اتأخرت زمنيا عن كل المذاهب الأثر الإيجابي في إطلاعه على مختلف الآراء النقدية.

وبدأ أول ما بدأ لأنصار اللفظ:" لو كان وصفهم الألفاظ المفردة بالفصاحة، من أجل وصفهم هو لها من حيث هي ألفاظ ونطق لسان لوجب إذا وجدت كلمة يقال إنها كلمة فصيحة على صفة في اللفظ أن لا توجد كلمة على تلك الصفة إلا وجب لها أن تكون فصيحة.[1]

فالحكم على اللفظ بالفصاحة أو عملية نفسية فنحن الذين تتمثل في اللفظ المهابة أو الدماثة، وإلا فهي بعيدة كل البعد عن هذه أو تلك.[2] إن علاقة الناس مع الألفاظ تختلف من شخص لآخر، ذلك أن لفظا واحدا قد يلاقي استحسانا من شخص ويلاقي الكراهية من آخر، وهكذا تواليها نتيجة التجربة المختلفة مع اللفظ ولأن كل واحد ينطلق من تجربته الخاصة، في الحكم بالجودة أو الرداءة على الألفاظ.

فاللفظ وإن اعترف له ببعض المزية في حصول البلاغة لا يمكن بحال أن يكون معتمد الحكم و أساسه. وقد اعترف الجرجاني للفظ فالمزية في بعض المواطن بقوله:" إن القول بفصاحة اللفظ في ذاته يقتضي من جهة العقل، وأن تكون تلك الفصاحة واجبة لها بكل حال."[3]، وأن لا تتغير قيمة اللفظ الفنية بتغير السياق، وأن تكون اللفظة فصيحة حيثما وردت وأن يتساوى الناس في العلم بفصاحتها، لأن ما سبيل إدراكه الإحساس لا يختلف من شخص إلى آخر لأن الناس يتفاوتون في المدركات العقلية دون غيرها.

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 353.

[2]- عز الدين إسماعيل، **الأسس الجمالية في النقد العربي**، عرض وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 1968م، ص 206.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 307.

"لا تخلو الفصاحة من أن تكون صنعة في اللفظ محسوسة تدرك بالسمع، أو أن تكون صفة فيه معقولة تعرف بالقلب، محال أن تكون صفة في اللفظ محسوسة، لأنها لو كانت كذلك لكان ينبغي أن يستوي السامعون للفظ الفصيح في العلم بكونه فصيحا، وإذا بطل أن تكون محسوسة وجب الحكم على ضرورة بأنها صفة معقولة، وإذا وجب الحكم بكونها صفة معقولة، فإننا لا نعرف للفظ صفة يكون طريق معرفتها العقل دون الحس إلى دلالته على معناه."[1]

ولو كانت الفصاحة في اللفظ من حيث هو مجموعة أصوات لوجب أن تنطبع في ذهن السامع بمجرد نطق اللفظة، ولما كن ننتظر حتى يتم النطق بالسياق كله لتحكمه بالفصاحة، بالقارئ لهذه الآية الكريمة بعد قوله تعالى:" ربي إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك ربي شقيا"[2] فإنه لا يجد الفصاحة التي يجدها إلا بعد انتهاء الكلام إلى آخره، فلو كانت الفصاحة لفظة" اشتعل " لكان ينبغي أن بحسها القارئ في حال نطقه لها، بمجال أن تكون للشيء صفة ثم لا يصح العلم بتلك الصفة إلا من بعد عدمه، ومن ذا رأى صفة يعرى موصوفها عنها في حال وجوده، حتى إذا عدم صارت موجودة فيه، وهل سمع السامعون في قديم الدهر وحديثه صفة شرط حصولها لموصوفها أن يعدم الموصوف.[3]

وبهذا يتضح أن الجرجاني ينفي نفي الواثق من صحة فكرته ما زعمه أنصار اللفظ قائلا:" وهل تجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعنى جارتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا: لفظة متمكنة ومقبول وفي خلافه قلقة ونسبية ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلحق بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفظا للثانية في مؤداها."[4]

إذن وجب إختيار المكان المناسب للفظة وإلا كانت قلقة ومستكرهة، لا لشيء إلا لأنها لم تنزل في الموضع الذي وضعت له وبهذا لن تتفاعل دلالتها مع دلالة الألفاظ المجاورة لها

[1]- زكي نجيب محمود،**المعقول و اللامعقول في تراثنا الفكري**، مطبعة دار الشروق، بيروت، ص 264.

[2]- سورة مريم، الآية 04.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 292.

[4]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 292.

في السياق ليخلق سوء تلاؤم ويختل الترابط فيما بينهما، ومنه لن تؤدي وظيفتها السياقية ولن تعكس مراد المتكلم.

لقد تصدى الجرجاني إلى شبهة زعم أنصار القدماء أن القدماء قسموا الفضيلة بين المعنى واللفظ، وأن حظ اللفظ من الفصاحة أمر وارد مثله مثل المعنى. ويرى بأن سبب اختصاص اللفظ بالفصاحة يرجع إلى كون المعاني المعبر عنها، لا سبيل إلى ظهورها عدا الألفاظ، ومن هنا أجازوا ترتيب المعاني في النفس بترتيب الألفاظ في النطق والكتابة، ثم بالألفاظ بعد حذف الترتيب ثم أتبع ذلك من الوصف والنعت ما أبان الغرض وكشف عن المراد.[1] ويرى أنصار هذا الاتجاه أن الفصاحة تكمن في التلاؤم اللفظي، وتعديل مزاج الحروف لا غير وذلك حتى لا تتلاقى في النطق فتثقل اللسان.

يضعف الجرجاني هذه الشبهة، ويشبه من يتشبث بها كمن يقدم على القول من غير روية ولا تدبر.[2] فالتنافر بين الكلمات أو الحروف لا صلة له بحسن الآداء، ولا يمس الكلام من ناحية وضوح دلالته، وحتى أنه لا ينقصمن قيمته البيانية. ومن خلال البيت السابق نلاحظ أن دلالة البيت واضحة كل الوضوح رغم تنافر الكلمات.

كما يرون أن المعنى الواحد قد يعبر عنه بلفظين ويكون واحد أفصح من الثاني، لذا يرون أنه يجب أن يكون للفظة قيمة بلاغية في ذاتها، وقد تصدى الجرجاني لهذه الفكرة وكان لها بالمرصاد وهو ما مستشفا في مألفه أسرار البلاغة. إذ نقض الآراء التي تعول على الحكم بالجودة الفنية للفظ في ذاته لا في معناه، وهو يرى بأن من نصر اللفظ كمن أزال الشيء على جهته، وأصحابه عن طبيعته وذلك ضمن الاستكراه، وفيه فتح أبواب العيب والتعرض للشين.[3] وبهذا فإن الفصاحة تعول على الصياغة والتي تثري الصورة مخافة تأثير في نفس المتلقي، ومدار الاستحسان في اللفظ لا يتجاوز نمط واحد.

رد عبد القاهر الجرجاني على أنصار المعنى:

لقد تصدى عبد القاهر الجرجاني لأنصار المعنى، الذين جعلوه مقياسا للحكم على العمل الأدبي بالجودة أو الرداءة، محاولا دحض شبهة من يرد البلاغة إلى المعنى بقوله:" واعلم

[1]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 50-51.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 45.

[3]- بتصرف، عبد القاهر الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص 08.

أن الداء الدوي والذي أوعي أمره في هذا الباب غلط من قدم الشعر بمعناه وأقل الاحتفال باللفظ، وجعل لا يعطيه من المزية إذ هو أعطى إلا ما فضل عن المعنى، يقول: ما في اللفظ إلا المعنى، وهل الكلام إلا بمعناه؟ فأنت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد أودع حكمة وأبدأ واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر، فإن مال إلى اللفظ شيئا ورأى أن ينحله بعض الفضيلة لم يعرف غير الاستعارة، ثم لا ينظر في حال تلك الاستعارة أَحَسُنَتْ بمجرد كونها استعارة، أم من أجل فرق ووجه.[1]

من خلال ما سلف إيراده يتأتى لنا أن عبد القاهر الجرجاني لا يعنب نوعية المعاني، حكمة أو فضيلة أو معنى غريب نادر، بقدر اهتمامه بصيغة هذه المعاني في بنى لغوية وظيفية تعبر عن مقصد المتكلم وغرضه تتجلى من خلال جميع عناصر هذه المعاني، نافيا محاولة حصر البلاغة في نوع من الاستعارة أو التشبيه. " فهو ينكر أن يكون للمعنى فظل على اللفظ وإن تضمن هذا المعنى حكمة أو أدبا، أو اشتمل على تشبيه غريب، إذ لا مزية في معنى دون صياغة.[2]

إذن التصوير والصياغة هما سبيل الكلام، والمعنى هو الذي يقع فيه التصوير، والمزية في الكلام لا تكون في النظر إليه بمجرد معناه فقط. والجرجاني لا يقصد بالمعاني مدلولات الألفاظ المجردة فقد هاجم أنصارها، وهو يقصد بالمعاني" المعاني الإضافية التي تلتمس في تركيب الكلام حسب مضامينه ودلالاته في النفس، وهي معان ترجع إلى الإسناد وخصائص مختلفة في المسند والمسند إليه، وفي أضرب الخبر وفي متعلقات الفعل من مفعولات وأحوال وفي الوصل والفصل والقصر وفي الإيجاز والإطناب ..."[3]

وبهذا عبد القاهر الجرجاني لا يفصل بين اللفظ والمعنى، لأن العلاقة بينهم علاقة جدلية لا انفصام لها، وينطلق من التسليم يتطابق المفهومين لهذا ركز جهوده على ما ترغب على محاولة الفصل بينهما، سواء من خلال مبالغتهم بتقدير اللفظ على المعنى أو العكس، لهذا كانت مسألة اللفظ والمعنى من المسائل الطاغية على كتابيه، فلا عجب في

[1]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 194-195.

[2]- أحمد علي دهمان، **الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا وتطبيقا**، دار طلاس، دمشق، الطبعة الأولى، الجزء الأول، ص 201.

[3]- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص .189

ذلك لأن اللفظ والمعنى هما عماد الظاهرة اللغوية.[1] ولم يرضى أن يكون من أنصار اللفظ لأن هؤلاء يجهزون أنفسهم في الكشف عن حسن الكلام في حسن ألفاظه ذاتها، ويذهبون في ذلك إلى تناسق المعاني التي تدل عليها الصياغة الأدبية مع إغفالهم لقيمة هذه الصياغة وربطها بدقائق الصورة المقروءة، ولهذا يلجأ من ليس لديهم كبير معنى فيحاولون صار فقرهم في الفكر.[2]

لقد وضع الجرجاني قانونا يجمع بين اللفظ والمعنى أسماه النظم، من خلال إيمانه التام والمطلق بأهمية ارتباط الفكر باللغة، ومتانة التحام اللفظ بالمعنى داخل نظم الكلام، فهو يسعى إلى الوصول بتعبيراتنا اللغوية إلى مستوى رفيع ليأتي التعبير عن المعاني مساوي لحقيقة راسخة في ذهن السامع والقارئ والمتكلم دون زيادة أو نقصان، ودون حاجة إلى الاجتهاد في التأويل والتفسير، بل يجب أن تأتي صور الكلام مساوية المعاني صورة بصورة، حسا وحركة وحيوية، ولونا ومفهوما دون ملابسة.

يقر عبد القاهر الجرجاني على حقيقة لا مراء فيها وهي أن المعاني هي الأصل عنده في عملية النظم، والألفاظ تتبع المعاني، لأن الألفاظ صورة صوتية تحمل المعاني ورموز تحركها داخل الذهن، ولهذا ظنها البعض أنها الأصل في عملية التعبير، بالألفاظ المسموعة والموجهة نحو المخاطب تحمل في طياتها المعنى المطلوب الذي يصبو إيصاله إلى السامع فتحل في فكره وسمعه بعد سماعه للألفاظ، وإن هذه الألفاظ كانت مرتبة في نفس المتكلم حسب المعاني المرتبة في ذاته وذهنه وفق الارتباط المتين ما بين اللغة والفكر.

وهو يرى أن الألفاظ أوعية للمعاني. وبهذا فإن عبد القاهر الجرجاني لا يرضى أن يكون من أنصار اللفظ على حساب المعنى، ولا من أنصار المعنى على حساب اللفظ مقرا أنه من أنصار النظم وبهذا للجرجاني الفضل والريادة في كشف العلاقة بين اللفظ والمعنى بما لهما من مميزات متنافرة، وحقا إننا لنجد عبد القاهر الجرجاني قوي الحجة عجيب المناظرة في جولته النقدية هذه.

---

[1] حمادى صمود، **التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس**، الطبعة الرسمية للجمهورية التونسي، 1981م، ص 460.

[2] – محمد غنيمي هلال، **النقد الأدبي الحديث**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1971م، ص 270-271.

وبهذا يتأتى لنا أن الجرجاني يرى أن لا مزية لحصر اللفظ دون المعنى، فالمزية ترجع لكلاهما على سواء، لأن اللفظ لا يتصور أن ينفصل عن المعنى، إذ لابد لكل دار من مدلول، لترتيب الألفاظ ليس هي من حيث ألفاظ، بل هو كناية عن ترتيب المعاني فأي حصر لأحدهما عن الآخر كان بترا للفكر عن اللغة أو العكس.

الفصل الثاني

نظرية النظم

الفصل الثاني: نظرية النظم

المبحث الأول: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

المطلب الأول: التعريف بمصطلح النظم

تعد نظرية النظم من أهم إنجازات النقد العربي القديم، التي شغل بها مجموعة من النقاد والبلاغيين منذ أمد بعيد، حيث مرة بمراحل متباينة بداية من شذا محاولات ودراسات فردية بسيطة، إلى أن وصلت مرحلة النضج وأضحت نظرية متكاملة لازالت الدراسات بصددها كل يوم تخلق الجديد حولها.

وقد جاء تعريف مصطلح النظم في العديد من المعاجم العربية منذ القدم، وأولى هذه المصادر التي عنيت بهذا المصطلح معجم العين للفراهيدي الأولى غداة ذلك تعريفات لهذا المصطلح في معاجم مختلفة، منها من إهتم بالألفاظ ومنها من إهتم بالمصطلح ، وقد تناولها هذه المعاجم بكثير من الحرص والدقة والضبط لغويا جامعا مانعا يميزه عن غيره من المصطلحات، حيث كان شائعا هذا المصطلح في بيئة الأشاعرة إذ كانوا يعملون إعجاز القرآن بنظمه، ليجعله عبد القاهر الجرجاني محور نظريته وجوهرها، إذ خص بعرضها وتفصيلها مؤلفه **دلائل الإعجاز**، وقد استقينا من هذه المعاجم جملة من التعريفات حسب الترتيب الزماني لكل معجم منها:

مفهوم النظم

لغة جاء في معجم العين للخليل:" نَظَمَ: النَظْمُ نَضْمُكَ خُرزًا بعضه إلى بعض في نظام واحد، وهو في كل شيء حتى قيل: ليس لأمره نظام أي لا تستقيم طريقته، و النِظَامُ: كل خيط ينظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظام."[1]

[1] – أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، **معجم العين**، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، الجزء الثامن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1988م، ص 165.

وفي لسان العرب لابن منظور:" نَظَمَ النظْمْ: التأليف نظَمَهُ ينْظُمُهُ نَظْمًا ونظَمَهُ فانتظم و تنَظّمَ، نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته ... و النِظَم كل ما نظمْتْ فيه الشيء من خيط وغيره وكل شعبة منه وأصل نظام، ونظام كل أمر ملاكه، والجمع أنظمة و أناظيم ونظم."[1]

وفي مقياس اللغة للرازي جاء في مادة (ن، ظ، م)

نظْم :النون والظاء و الميم أصل يدل على تأليف شيء و تكثيفه، ونظمت الخرز نظما، ونظمت الشعر وغيره، والنظام: الخيط الذي يجمع به الحرز، والنظامان: من الضب كوشيتان من جنبيه منظومان أصل الذنب إلى الأذن، وانتظمت الدجاجة: صار في جوفها بيض، ويقال: لكواكب الجوزاء: نظَم: وجاءنا نظْم من جراد أي كثير."[2]

الصحاح للجوهري:" نظم: نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك والتنظيم مثله، ومنه الشعر ونظمته، والنظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ، ونظم اللؤلؤ، وفي الأصل مصدر، وجاءنا ناظم من جراد وهو كثير، ويقال لثلاثة كواكب الجوزاء نظم: و الانتظام الاتساق، وطعنه فانتظمه ، أي احتله، والنظامان من الضب كوشيتان منظومتان من جانبي كليته طويلتان، ونظمت الدجاجة إذ صار في بطنها بيض."[3]

[1] – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: أحمد عامر حيدر، الجزء الثاني عشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003م، ص 686.

[2] أحمد بن فارس الرازي، **معجم مقايس اللغة**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، المجلد الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 2011م، ص 567.

[3] – الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، 1984م، ص 950.

وجاء في لسان العرب لابن منظور:" التأليف نظمه ينْظَمه ونظاما و نظّمه فانتظم وتنظّم، ونظّمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر ونظمته، ونظُم الأمر على المثل، وكل شيء."[1]

قرنته لآخر أو ضممت بعضه إلى بعض، فقد نظمته، والنظم: نظمته، والنظم: المنظوم، وصف بالمصدر والنظم ما نظمته، والنظام: ما نضمت فيه الشيء من خيط وغيره، وكل شعبة منه، وأصل نظْم: ونظام كل أمر: ملاكه، والجمع أنظمة و أناظيم، ونظم الليث: النظم نظمك الخرز بعضه إلى بعض في نظام واحد، كذلك هو في كل شيء حتى يقال: ليس لأمره نظام أي لا تستقيم طريقته، والنظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ، قال: وهو في الأصل مصدر، و الانتظام الاتساق.

والنظامان من الضب: كوشيتان منظومتان في جانبي كليتيه طويلتان، ونظاما الظبية، وإنظاماها: كوشيتان وهو خيطان منتظمان بيضا يمتد بجانبيها من ذنبها إلى أذنها، ويقال: في بطنها أنظامان من بيض، وكذلك أنظاما السمكة، وحكي عن أبي زيد: أنظومتا الضب والسمكة، وقد نظمت ونظمت وأنظمت، وهي ناظم ومنظم، وذلك حين تمتلئ من أصل ذنبها إلى أذنها بيضا ويقال: نظمت الضبة بعضها تنظيما في بطنها ونظمها نظما، وكذلك الدجاجة أنظمت إذا صار في بطنها بيض، والنظام: نفس البيض المنتظم كأنه منظوم في سلك، و الانتظام من الخرز: خيط قد نظم خرزا، وكذلك أناظم مكن الضبة، ويقال: جاءنا نظم من الجراد وهو كثير ونظام الرسل وأناظمته، ضفرته وهي ما تعقده.

ونظم الحبل: شكه وعقده، ونظم الخواص المقل، ينظمه شكه وضفره.[2]

أما تاج العروس للزبيدي:" نظّم: النظّم: التأليف، و ضم الشيء إلى شيء آخر وكل شيء قرنته بآخر فقد نظمته.

[1] – أبن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: خالد رشيق القاضي، دار الأبحاث، الطبعة الأولى، الجزائر، 2008م، ص 187.

[2] – أبن منظور، **لسان العرب**، ص 187.

النظم: المنظوم، باللؤلؤ والخرز، وصف بالمصدر يقال: نظم من لؤلؤ، والنظم: الجماعة من الجراد، يقال: جاءنا نظم من جراد، وهو الكثير كما في الصحاح وهو مجاز، وأيضا على ثلاثة كواكب من الجوزاء كما في الصحاح ونظم وقيل : ماء بنجد و النظّم: الثريات على التشبيه من النظم باللؤلؤ، والنظم أيضا: الدبوران الذي بلى الثريات، ونظم اللؤلؤ ينظمه نظما ونظاما، بالكسر ونظمه تنظمًا: ألفه وجمعه في سلك فانتظم وتنظّم، ومنه جمعت الشعر ونظمته، و نظم الأمر على المثل وله نظم حسن، درُ منظوم، ومنظم وانتظم بالرمح، اختل وانتظم ساقيه وجانبيه كما قالتا، أفتل فؤاده، أي ضمها بالسنان.[1]

ولقد ورد في كتاب التعريفات للجرجاني النسق بلفظ النظم حيث ورد في المعجم المحيط:" النسق من كل شيء: ما كان على نظام واحد."[2]

وتجدر الإشارة هاهنا إلى أن النسق انحصر في تسميات: الجمع، النظم، الضم، الربط،

كما ورد النظم عند الفيروز الأبدي هو: التأليف وضم الشيء إلى شيء آخر، ونظم اللؤلؤ ينظمه نظما ونظاما ونظمه: ألفه وجمعه في السلك فالنتظم وتنظم ... والنظام كل خيط ينظم به اللؤلؤ ونحوه.[3]

وفي المصباح المنير:" نظمت الخرز نظما من باب حزب جعلته في سلك، ونظمت الأمر فانتظم أي أقمنه فاستقام وهو على نظام واحد، أي نهج غير مختلف، ونظمت الشعر نظاما.[4]

نستنتج أن التعريف اللغوي هو: ضم الشيء إلى الشيء وتنسيقه على نسق واحد كحبات اللؤلؤ المنتظمة في السلك.

---

[1] محمد مرتضى الزبيري، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: نواف الجراح، سمير شمس، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، تلمسان، الزائر، الطبعة الأولى، 2011م، ص 254.

[2]- الصاحب ابن عباد، **معجم المحيط في اللغة**، مكتبة المنشأة الإسلامية، ملف الثاني، ص 177.

[3] الفيروز الأبدي، **القاموس المحيط**، المطبعة الأمدية، الطبعة الثالثة، 1301 هـ، مادة نظم، ص 1162.

[4]- أحمد بن محمد بن علي المقر القيومي، **المصباح المنير**، الجزء الثاني، د، ط، د، ت، ص 132.

والتعريف الاصطلاحي ليس ببعيد عن التعريف اللغوي، ويختلف مفهوم النظم من باحث إلى آخر باختلاف تخصصاتهم.

يقول فخر الدين الرازي:" خلاص الكلام من التعقيد، وأصله من الفصيح، وهو اللين الذي أخذت منه الرغوة."[1]

في حين يعرفها عبد القاهر الجرجاني:" واعلم أن النظم ليس إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه على النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحافظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها."[2]

فالنظم عند الجرجاني يستدعي توخي معاني النحو والعمل وفق أصوله ولا يمكننا الخروج عن قواعده إذ أن أي خروج عنها سيؤدي إلى اختلال المعنى.

وهذا يعني أن النظم في جوهره هو النحو في أحكامه، وبهذا فالنحو والنظم تجمعهما علاقة تكامل ولا يمكن تقديم أحدهما على الآخر.

" النظم هو تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل الألفاظ مترتبة المسوفة المعبرة ودلالاتها على ما يقتضيه العدد.[3]

كما قدم قدامة بن جعفر تعريفا النظم فقال:" ومن أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى المساواة، وهو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزداد عليه ولا ينقص عنه ولا بفضل أحدهم على الآخر."[4]

---

[1] – فخر الدين الرازي، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، نقلا عن: صالح بالعيد، نظرية النظم، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة الجزائر، د، ط، 2002م، ص 161.

[2] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 24.

[3] – الشريف الجرجاني، **كتاب التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، 1985م، ص 261.

[4] – قدامة بن جعفر، **نقد الشعر**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982م، ص 171.

وتحدث سيبويه في هذا المدار عن النظم فقال:" هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة، فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم وهو محال كذب."[1]

إذن بهذا جعل سيبويه مدار الكلام على تأليف العبارة وما فيها من حسن أو قبح أو استقامة أو إحالة، والمعنى بما فيه من صدق أو كذب.

هذا عند القدماء أما المحدثين فيقول صالح بالعيد:" النظم هو ظم وتأليف مجموعة من العناصر المتحدة في العملية اللغوية، ليكون الكلام حسنا حسب خصائص معينة هي:[2]

- حسن الاختيار لأصوات الكلمة.
- تعليق الكلمة في ذاتها.
- تعليقها بما يجاورها وليس بضم الكلمات كيفما جاءت.
- مراعاة الموقع النحوي الأصيل حسب ما تقتضيه بيئة العربي.
- مراعاة المعنى المباشر (السطحي) غير المنزاح، والمعنى الغير مباشر (المنزاح).

إذن بهذا النظم هو وضع الكلمات حسب ما يقتضيه الحال، وفق التأثير المأثور عن العرب، باعتباره المقياس الحقيقي للبلاغة.

نلاحظ من خلال التعريفين اللغوي و الاصطلاحي أنهما يتفقان في كون النظم هو التأليف، وضم الكلمات بعضها إلى بعض حسب ما يقتضيه العقل والمنطق، وذلك على مستوى الحروف والكلمات والجمل.

إذن فكرة النظم كانت من أبرز وجوه الإعجاز عند العلماء، ومن أظهر مفردات الإيقاع في القاموس الخطاب القرآني، ليقف العديد من العلماء على هذا المصطلح الخطابي الروماني الباقلاني السكاكي ورائد هذه النظرية التي رسم معالمها عبد القاهر الجرجاني.

[1] – محمد زغلول سلام، **أثر القرآن في تطور النقد العربي**، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ص 105.

[2] – أحمد بن محمد بن علي المقري القيومي، **المصباح المنير**، الجزء الثاني، د، ط، د، ت، ص 132.

ومن هنا يمكننا القول أن النظم هو محصلة العلاقات السياقية التي تتضح في الوحدة الشاملة بين أجزاء الجملة وبين الجملة والجملة في مجموعة من العلاقات المتناسقة والمنتظمة بين أطراف الكلام.

نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

شاع النظم منذ القرن الثاني هجري، ورغم هذا لا ينبغي نفي الجهود التي قام بها عبد القاهر الجرجاني، في تحديد معالمه ووضع أسسه لله نظام من التفكير كان ملتزما به أشد التزام وهو ما حداه إلى وضع نظريته والذود عنها وحشد الأدلة والبراهين على ذلك، وقد كان نظام تفكيره سائدا في عصره، لينقل التفكير من ساحة اللغة إلى ساحة النحو، ومن ساحة الشرح إلى ساحة النقد، ومن ساحة الفصاحة والبيان إلى ساحة البلاغة.

مرتكزة على أفكار ورأى سابقيه لتكون النبراس إله والشمع المضيء لدربه لأنه لم ولن تكون النظرية على هذا المستوى من النضج والاكتمال من أول يوم لها يقول:" وقد علمت إطباق العلماء عن تعظيم شأن النظم، وتفخيم قدره، والتنويه بذكره، إجماعهم أن الفضل من عدمه، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ."[1]

ولكن رغم هذا فقد امتاز عبد القاهر الجرجاني بدقة الرؤية وصولي المنهج مما ساعده على تناول قضية الإعجاز القرآني من خلال بحثه في النظم، بعد أن ألم بجميع جوانبه لتضحي نظرية متكاملة تعنى بها جميع الدراسات حتى في وقتنا الحالي رغم مرور العصور.

صرح عبد القاهر الجرجاني أن هدفه من وراء هذا المؤلف، هو وضع القارئ يده على الخصائص والمزايا التي تعرض في الكلام حتى يفضل بعضه من بعض، ثم يتعاظم هذا الفضل حتى يبلغ الإعجاز الذي تنقطع عنده أعناق البلغاء، يقول:" ولم أزل منذ خدمة العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى، الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة."

[1] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 93.

ومن ها هنا نجد بعض الرمز والإماء و الإشارة، وبعضه على التنبيه على مكان الخبيء ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج وكما فتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه وتوضع لك القاعدة لتبني عليها، ووجدت على أن المعول هاهنا نظمأ وترتيبا، وتأليفا وتركيبا، وصياغة وتصويرا، ونسجا وتحبيرا.

عرض عبد القاهر الجرجاني نظريته بطريقة تغاييرسابقيه مطلعا على أهم ما كتب في قضية الإعجاز وكذا بسبب ثقافته النحوية و إمامته لهذا العلم، التي أمدته بفكرة النظم والتي أضحت على يديه نظرية علمية.

وفكرة النظم عنده خلاصة آراء عبد القاهر الجرجاني اللغوية والبلاغية، فاللغة عنده مجموعة من العلاقات المتفاعلة والفاعلة والتي تحمل نسيجا متشعبا من المشاعر و الأحاسيس، ليوضح النظم الذي هو صياغة الجمل ودلالتها على الصورة، وهذه الصيغة هي محور الفضيلة والمزية في الكلام .

ولقد اعتمد عبد القاهر الجرجاني في تحليل الكلام على توجه عقلي مسبق و أسس معرفية واضحة تيسرت له باعتقاد مطلق مفاده أن" قضايا العقول هي القواعد والأسس التي ينبني عليها غيرها والأصول التي يرد ما سواها إليها."[1]

وقد حقق فعلا الجدارة في النظم ليجعله سبيلا لدراسة البلاغة وأسرار الإعجاز.

وقد انطلق من ثنائية اللفظ والمعنى، وما ترتب عنهما من مبالغات حول تفضيل أحدهما على الآخر، وكانت من أبرز المسائل التي عني بها في كتابه، وكيف لا واللفظ و المعنى أساس الظاهرة اللغوية

[1] حمادي صمود، **التفكير البلاغي عند العرب** ، ص 438.

ويقر الجرجاني أن وحدات اللغة ألفاظ، وبفضل النحو نستعمل ألفاظ، وبفضل النحو نستعمل الألفاظ لنشكل التراكيب، وهي تتجدد دائما بفضل النحو نستعمل الألفاظ لنشكل التراكيب.

إذن الألفاظ عند الجرجاني هي رموز للمعاني والإنسان يتعرف على مدلول اللفظ المفرد أولا، ثم يتعرف على مدلول داخل التركيب فالألفاظ سمات لمعانيها، ولا يمكن أن تسبق الألفاظ معانيها، وبهذه الأفكار تجسدت لنا نظرية النظم.

يقول:" واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئا يتبعه الناظم ينظمه، غير أن ينظر في وجه كل باب وفروقه فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراه في قولك:" زيد منطلق، وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، والمنطق زيد، وزيد هو المنطلق، وزيد هو منطلق، وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجتُ، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج ... ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار فيضع كل من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له، هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئا يرجع صوابه، إن كان صوابا، وخطأه إن كان خطآ، إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو، قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأول عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له."[1]

والواضع مما سبق أن الجرجاني ينكر القسمة فيما بين اللفظ والمعنى ويرد المزية في الكلام إلى السياق، التي تتعاون فيه جميع دلالات الكلمة لتأدية المعنى عن طريق النظم الذي هو صنعة يستعان عليها بالفكرة.

[1] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 63.

والنظم عنده ليس اتصال الألفاظ وترابطها وتتاليها من حيث هي حروف أو أصوات وإنما هو تتالي معانيها واتساقها فيما بينهما، مشيرا إلى الفرق بين حروف منظومة وكان منظومة."[1]

ومنه فتوالي الحروف أو ترتيبها رسما أو نطقا يتم بطريقة إعتباطية لا دخل للإنسان بها، وليس هناك من تفسير التوالي هذه الحروف في الكلمة سوى ما يفرضه جهاز النطق عند الإنسان أي ما يتلاءم وطبيعته الخلقية وهذا ما يتفق فيه مع العالم دي سوسير في القول:" باعتباطية العلاقة بين الدال والمطلوب."[2]

فلو أن واضع اللغة كان قد قال ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد.[3]

وهاهنا النظم الذي عناه الجرجاني هو نظم الكلم الذي يأتي من اقتضاء المعنى، ليقف في هذا:" أن نظم الألفاظ يجب أن يقترن بترتيب المعاني، لأن المعاني هي الأساس الذي يجب أن يراعى عند نظم الكلام، ثم تأتي الألفاظ لتستوعب هذه المعاني لأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم، بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق، واعلم أنك إذا رجعت نفسك عملت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويتبنى بعضها على بعض، ولا تجعل هذه بسبب تلك.[4]

وحين أمعن عبد القاهر الجرجاني النظر في طرائق التعبير القرآني وما تنطوي عليه من الأسرار والدقائق تأكد أن مدار هذه الأسرار كانت في نظمه وتأليفه العجيب وأنه لا يهتدى

[1] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 40.

[2] – فرديناند سوسير، **دروس في الألسنية العامة**، تعريب: صالح الفرمادي و محمد شاوش و محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985م،ص 111.

[3] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 40.

[4] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 38.

إليه إلا من أوتي، ملكة الذوق الرفيع و الحس المرهف فقال في ذلك:" لأن المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانهم، وتصور لهم شأنها أمور خفية ومعاني روحانية أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها، وتحدث له علما بها حتى يكون مهيئ لإدراكها وتكون فيه طبيعة قابلة لها، ويكون له ذوق وقريحة يجد لها، في نفسه إحساسا شأن هذه الوجوب والفروق أن تعرض فيها المزية على الجملة و ممن إذا تصفح الكلام وتدبر الشعر فرق بين موقع شيء منها حتى إنه لا يكون أن يقع للرجل الشيء من الفروق والوجوه شعر بقوله رسالة يكتبها الموقع الحسن ثم لا يعلم أنه قد أحسن ..."[1]

إن مصطلح النظم بالمفهوم الذي يحمله اللفظ في النظريات المعرفية المعاصرة لم يتحقق في تقديرنا إلا مع عبد القاهر الجرجاني عندما استطاع أن ينضج هذا المفهوم بما بسطه من التنظير والتطبيق في مؤلفه **دلائل الإعجاز**، وقد ذكر هذا المصطلح بكليمات رديفة في سياق واحد من كتاب الدلائل لم يذكره مفصلا في غير هذا الموضع قائلا عن النظم:" ... ووجدت المعول على أن هاهنا نظما وترتيبها وتركيبا وتأليفا وصياغة وتصورا ونسجا وتحبيرا، وأن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي المجاز فيه سبيلها في الأشياء، التي هي حقيقة فيها ...."[2]

وإذا نظرنا إلى هذه الألفاظ الثمانية التي يقدمها نص الجرجاني وجدنا أنها تحيط المدلول النظم عندهم جملة وتفصيلا

يقول في هذا السياق محمود توفيق محمد سعد صاحب مؤلف نظرية النظم وقراءة الشعر

" وأنت إذا ما نظرت في هذه الثمانية ترى أنها بدأت بالنظم و انتهت بالتحبير وأن الإمام قد نسقها، على نحو لم يقع منه في أي موطن من كتابه دلائل الإعجاز ولا غيره، وأنت

[1] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 420–421.

[2] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 29.

إذا نظرت في نسقها رأيت في توقيعها النغمي توازنا ... وهذا النسق ترى فيه تصاعدا يشير إلى منازل هذه السمات من بلاغة الخطاب فمبدأ بلاغته النظم، ومنتهاها التحبير."[1]

ثم يضيف الباحث قائلا: وهذه السمات الثمانية لبلاغة الكلام قسمان، كل قسم أربع سمات، وكل قسم ضربات.

❖ **القسم الأول:**

سمات البناء: النظم و الترتيب والتأليف والتركيب.

بالأول والثاني وأنا أعني هاهنا" النظم والترتيب " يمثلان درجة الجوار، بين عناصر الكلام البليغ، وفق علاقة ظاهرية.

والثالث والرابع " التأليف والتركيب "، يمثلان درجة الحوار بين عناصر الكلام البليغ، وفق علاقة باطنية.

❖ **القسم الثاني**

سمات التصوير: الصياغة والتصوير والنسج والتحبير.

بالأول والثاني" التصوير والصياغة " يمثلان درجة السبك والصياغة، الرسم وصناعة المعادن.

الثالث والرابع" النسج والتحبير " يمثلان درجة السبك والحبك أي النقش وصناعة النسيج.

لم يهتم الجرجاني بالبديع لأسباب منهجية كالبلاغة، إذ يقف ضد التيار الشكلي الذي أنشأه الجاحظ.

[1] – محمود توفيق، **نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر الجرجاني**، ص 07.

فقد صاغ الجرجاني نظريته في النظم من رحم النحو ثم ألبسها قول البلاغة والبيان بما أدركه من أسرار التركيب القائم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي تكون فيها من جهة ما يراد لها من الأغراض والمقاصد ولم يقتصر في ذلك على ما ينشأ في نظم الكلام من المزايا والمحاسن التي تأتيها، من جهة ماله صلة بعلم المعاني، كالتقديم والتأخير والإضمار والإظهار والحذف والزيادة، بل جعل ذلك شاملا لمجالات التصوير بضروب البيان المختلفة لأنه لم يتصور تحققها وأشكال تعبيرية تصويرية عند عبد القاهر الجرجاني إلا داخل فكرة النظم، القائمة في جوهرها على مبدأ التعالق بين أركان الجملة في أبسط مستوياتها، التي بنى عبد القاهر الجرجاني على أساسها النحوي جميع أركان نظريته في النظم حيث جعل مضمون هذا التعالق مفتاحا لكتابه دلائل الإعجاز.

يقول في مقدمة كتابه:" معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض والكلم ثلاث إسم وفعل وحرف وللمتعلق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام : تعلق إسم باسم، وتعلق إسم بفعل وتعلق حرف بهما. "[1]

ويقول أيضا:" واعلم أن النظم ليس إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ...[2]

هذا وقد نوه عبد القاهر الجرجاني على ضرورة وجود التعالق وكذا بين مواطن التفاضل بين هيئات هذا التركيب، وقد فصل في ذلك مستقصيا وجوه هذا التعالق ثم قال:" فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض، وهي كما تراه معاني النحو وأحكامه."[3]

ومن هنا كانت معاني النحو هي الموجه الأساسي لكل الصيغ التركيبية حقيقة كانت أم مجازية، في إصابة المعاني والأغراض على الوجه الحسن والذي يوصف لأجله التعبير اللغوي بالبلاغة والبراعة وحسن البيان.

---

[1] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 09.

[2] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 64.

[3] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 65.

لقد تحدث عبد القاهر الجرجاني عن النظم عقب فكرة التعالق، وأثار في طريقه مصطلحات مماثلة كثيرة أشرنا إليها سالفا.

ولكن فكرة التعالق كما يقول تمام حسان:" هي أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر الجرجاني على الإطلاق."[1]

وفكرة التعالق بنظره هي:" مرجع الصحة والفساد والمزية والفضل."[2]

كما يرى تمام حسان في حديثه عن التعليق الذي أثاره الجرجاني

" بأنه الفكرة المركزية في النحو العربي، وأن فهم التعليق على وجه كافي وحده للقضاء على خرافة العامل النحوي والعوامل النحوية، لأن التعليق يحدد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق، ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعا، في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية."[3]

والتركيب مهما حدث فيه من الإبداع والبراعة، فإنه يظل دون مستوى تحقيق البلاغة والبيان لأنه كان يشترط لها متلقي.

وقد كان الجرجاني يراعي المتلقي، لأن جمال الأسلوب يقابله جمال حسن المتلقي لتحدث تلك الروعة.

ومثال ذلك: القرآن الكريم إذا قرأ القرآن على الأموات يفزعون، وربما إذا قرأ على الأحياء لا يتدبرون.

ورغم الجهد الجلي الذي قدمه الجرجاني إلا أن هناك نفر من العلماء الذين رأوا أن الجرجاني لم يخلق الجديد ولم يبتعد أي نظرية هي آراء القدامى وسلف رواه لنا وفقط،

[1] – تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 188.

[2] – تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 189.

[3] – تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص. 189.

وأنه لم يطور الدرس البلاغي كما توعد، وأنه لم يقم بأي جهد تأليفي يبين ربط النظم بمعاني النحو، وأنه لم يقدم مفهوم دقيق لكلمة النحو، وفي تحليله للنماذج الأدبية لم يستطع الإفلات من التأثيرية والانطباعية في أحكامه الأدبية، وهذا الأمر هو الذي لم يستطع معرفة الأبعاد التي يستعمل فيها المصطلح ولا دوره في توليد جمال النصوص وكشف أسرار بلاغتها.[1]

من خلال هذا القول نلتمس تزمت طائفة من العلماء على ما جاء به الجرجاني ونفي أبوته لهذه النظرية بمعتقد أنه لم يخلق

الجديد ولم يبتكر أسس وقوانين ولم يصل بالدرس البلاغي ولا اللغوي للمكان الذي توعد به فقد اكتفى بنقل أقوال ورأى السابقين وفقط.

وحشد على هذه الطائفة نذكر قول تامر سلوم:" إن النظم عند عبد القاهر الجرجاني أكثر من أن تحيط به دراسة، وأوسع من أن تحده نظرة سطحية قاصرة عن الخوض في كنهه سوبر أغواره، قائلا:" إن النظم ليس له إطار يحدده أو سور يحيط به بدقة، ومن الصعب تلخيص مدلول في ناحية أو كيفية معينة."[2]

إذن الغرض من النحو عند عبد القاهر الجرجاني ليس غرضا شكليا إعرابيا إذ لا يرى قيمة للحركات التي تطرأ أواخر الكلمات، لأن العلم بما يناسب الوظائف من حركات علم مشترك بين جميع العارفين باللغة ... كما أنه لا يتصور أن يقع التفاضل من أجلها وأن تكون لنفس الحركة مزية في كلام، ثم لا تكون لها تلك المزية في كلام آخر.

[1] – بتصرف، حمادى صمود، **التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطور إلى القرن السادس**، ص 510–511.

[2] – تامر سلوم، **نظرية اللغة والجمال في النقد العربي**، دار الجوار للنشر والتوزيع، سورية، اللاذقية، الطبعة الأولى، 1983م، ص 126.

وفي هذا يقول:" ولا يجوز إذا عدت الوجوه التي تظهر بها المزية أن يعيد فيها الإعراب وذلك أن العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلهم، وليس هو مما يستنبط بالفكر ويستعمل عليه بالروية ..."[1]

المطلب الثاني : أسس نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني.

تعد نظرية النظم إحدى أهم النظريات في التنظيم، والتي تولدت بعد عدة نظريات سبقتها، كالنظرية الكلاسيكية والسلوكية و الموقفية، وهي تعد من النظريات الحديثة التي تقوم على أساس نقد النظريات السابقة وفق أسس علمية.

لقد أورد عبد القاهر الجرجاني في دراسته لموضوع النظم، أربعة مصطلحات علمية" هي من ذوات المصطلحات المعاصرة في النظام اللغوي."[2] وهي:

- ✓ **النظم**

هو عند عبد القاهر الجرجاني تصور للعلاقات النحوية بين الأبواب كتصور علاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه، وتصور علاقة التعدية بين الفعل والمفعول به، وتصور علاقة السببية بين الفعل والمفعول لأجله. وفي ذلك يقول:" وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه فاعلم أن الفروق والوجوه فيه كثيرة، ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها."[3]

والمزية عنده ناتجة بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام حسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض يقول:" واعلم أنه وإن كانت الصورة في الذي أعدنا وأبدئنا فيه، من أن لا معنى للنظم من غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم قد بلغت في

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 203.

[2] – محمد عباس، **الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني**، ص 66.

[3] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 69.

الوضوح والظهور، والانكشاف إلى أقصر غاية وإلى أن تكون الزيادة عليه كالتكليف لما لا يحتاج إليه فإن النفس تتنازع إلى تتبع كل ضرب من الشبهة ..."[1]

وبهذا النظم عند عبد القاهر الجرجاني هو نظم المعاني النحوية في نفس المتكلم.

✓ **الترتيب**

أقر عبد القاهر الجرجاني أن الميزة البلاغية، تكمن في المعنى الذي تحدثه الألفاظ إذ ألفت على ضرب خاص من التأليف، ورتبت ترتيبا معلوما بحيث يقع ترتيب الألفاظ في الكلام على حسب ترتيب معانيه في النفس وفق ما يقتضي العقل. ليثبت أن النظم هو ترتيب معاني الألفاظ في النفس، وليس ترتيب الألفاظ وتواليها في النطق وفي ذلك يقول:" وإن الكلم ترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس."[2] ويقول كذلك:" ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل ..."[3]

وبهذا الترتيب هو وضع العلامات المنطوقة أو المكتوبة في سياقها الاستعمالي حسب رتب خاصة تظهر بها فوائد التقديم والتأخير، اللذان كان موضع عناية فائقة من لدن عبد القاهر."[4] وهو يعد أحد أولى عناصر النظم ومقياس يقاس بواسطته الحسن في الكلام.

وبهذا فالنظم وثيق الصلة بقوى الإنسان المدركة وفي مقدمتها العقل، ليضحي انتظام الوحدات اللغوية انعكاس للمضمون في بناءه المنطقي، وقد أشار الجرجاني إلى أصل من

[1] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 282.

[2] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 45.

[3] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 40–41.

[4] – تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة، 2004م، ص 188.

أهم أصول الوحدة المنطقية، فقسم للعقل مكانا في العمل الفني، وجعله هاديا لوحدة النسق في ترتبه على صورة تتلاءم وقوى الإنسان العاقلة والمتذوقة."[1]

✓ الموقع

هذا العنصر شديد الارتباط بعنصر الترتيب، لأنه لا يمكن أن يتحقق النظم الذي هو مدار البلاغة يترتب المعاني في النفس فقط، بل لابد من العلم بموقعها في النفس، وبهذا الصدد يقول:" وإنّ العلم بموقع المعاني في النفس، علم بموقع الألفاظ الدالة عليها في النطق."[2]

يجب أن تحل كل لفظة في موقعها تبعا لموقع معناه ورتبته في النفس، يقول:" لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا موطنه الأمين وقراره المكين."[3] إذن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، وإنما من حيث ملائمة معنى الكلمة لمعنى التي تليها، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتأنسك في موضع، ثم تراه بعينك تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر. وفي هذا إشارة إلى ضرورة الارتباط بين المعنى والمبنى، فالكلمة لا تحدد وظيفتها، ولا تأخذ قيمتها النحوية في الجملة إلا بموقعها الأخص منها.[4] إذن موضع الكلمة أو موقعها من النظم، مقياس أيضا لتحديد المزية والفصاحة عند عبد القاهر الجرجاني.

✓ التعليق

كان للتعليق أيضا مكانته الهامة في نظريته وقد عدة أساس النظم إذ قصد به" إنشاء العلاقة بين المعاني النحوية، بواسطة ما يسمى القرائن اللفظية والمعنوية والحالية، ويحدد

---

[1] – السيد أحمد الخليل، **المدخل إلى دراسة البلاغة العربية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1968م، ص 58.

[2] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 44.

[3] – محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، دار القلم، الكويت، الطبعة الرابعة، 1977م، ص 92.

[4] – ميشال زكريا، **الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)**، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م، ص 18.

معاني الأبواب في السياق، ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعا، من التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية."[1] لقد قام الجرجاني النظم على التعليق وجعله أساسا وقواما لها يقول:" معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها، وجعل بعضها بسبب من بعض."[2]

وقال أيضا:" لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، وتبني بعضها على بعض، ونجعل هذا سبب من تلك."[3]; معتقلا إلى تحديد أقسام التعليق ما قبل عليها بقوله:" فهذه هي الطرق والوجوه في تعليق الكلم بعضها ببعض، وهي كما تراها معاني النحو وأحكامه."[4]

ينص عبد القاهر الجرجاني على معاني النحو وأحكامه التي هي ضوابط العلاقات السياقية (التعليق) وهي مرجع الصحة والفساد والمزية والفضل، فالكلام رهين هذه الشبكة من العلاقات التي تربط بين وحداته لتكون مطابقة لمعاني النحو.[5]

وفي هذا الصدد حلل عبد القاهر الجرجاني هذه الآية الكريمة بعد قوله تعالى:" وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون."[6] حيث يقول: كيف وسبب الفصاحة فيها أمور لا يشك عاقل في أنها معنوية (أولها) أن كانت (على) فيها متعلقة بمحذوف في

---

[1] –تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص. 188–189.

[2] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 04.

[3] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 97.

[4] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 08.

[5] – ينظر، عز الدين إسماعيل، **الأسس الجمالية في النقد العربي القديم عرض وتفسير ومقارنة**، دار الفكر العربي، مصر، الطبعة الثانية، 1968م، ص 237.

[6] – سورة المنافقون، الآية 04.

موضع المفعول الثاني، والثاني أن كانت الجملة التي هي (هم العدو) بعدها عارية من حرف عطف، والثالث التعريف في العدو وأن لم يقل" هم عدو ".[1]

مواصلة تفسيره الأية الكريمة مفترضا لو أن الأية الكريمة جاءت خلاف الأصل قائلا:" ولو أنك علقت (على) بظاهر، وأدخلت على الجملة التي هي (هم العدو) حرف عطف، وأسقطت الألف واللام من العدو فقلت: يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وهم عدو، أرأيت الفصاحة قد ذهبت عنها بأسرها، ولو أنك أمطرت ببالك أن يكون (عليهم) متعلقا عليهم بنفس الصيحة ويكون حاله معها كحاله إذ قلت: صحا عليه: لأخرجته عن أن يكون كلاما فضلا أن يكون فصيحا وهذا هو الفيصل لمن عقل.[2]

التعليق الذي قصده هاهنا الجرجاني هو التعليق فيما بين معاني الألفاظ لا فيما بينها أنفسها، والمزية ترجع إلى المعاني و الأغراض، لأن اتساق الألفاظ وترتيبها يكون بحسب معانيها في النفس ووضعها في العقل.

- ✓ **الصياغة**

يقول الجرجاني:" وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التخيير والتدبر في الأصباغ وفي موقعها ومقاديرها، وكيفية مزجه لها وترتيبه إياه إلا مالم ينهد إليه صاحبه فجاء نقشه من ذلك أعجب، وصورته أغرب، كذلك حال الشاعر، والشاعر في توخيهما معاني النحو، ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم."[3]

---

[1] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 309.

[2] –عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 309.

[3] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 59–60.

فالتصوير والصياغة هما سبيل الكلام، والمعنى الذي يقع فيه التصوير والفضة أو الذهب مادة الفن والمزية في الكلام، لا تكون في النظر إليه بمجرد معناه فقط، والصياغة عند الجرجاني دلالة على جلاء الصورة الأدبية وبراعتها.

وإن أساس المفاضلة بين المعاني عند عبد القاهر الجرجاني هو الصوغ والتصوير، فالحكم لبلاغة الكلام وحسنه، أو عدم بلاغته وحسنه لا يرجع إلى مجرد معناه، بل إلى براعة صياغته وحسن معرضه، فقد تكون المعاني جيدة، ولكن صياغتها فاسدة ومعرضها سيء، لأن العمل الأدبي أساسه الذوق والجمال والبراعة، وهو ما أشار إليه العسكري حين اشترط في بلاغة الكلام أن يكون مقبول الصورة حسن المعرض يقول:" وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة لأن الكلام إذا كانت عباراته رثه ومعرضه خلقا لم يسمّ بليغا وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المعنى."[1]

على خلاف الجرجاني الذي يرى الصورة بأنها:" درجة من التجريد العقلي يستخلصها الناظر من الأشكال اللغوية الماثلة في النص بعد سيرها النظر والفكر."[2]

إذن جمال العبارة متولد عن نظمها وترتيبها، وفق ترتيب المعاني القائمة في الذهن، وأن النظم بالمعنى الذي حدده الجرجاني.

لقد تأثر الجرجاني بجهود سابقيه، ليحقق من خلال حسه الرفيع وذويه المرهف أن يوضح بالشواهد ويحللها، فالمزية لا ترجع إلى الألفاظ المفردة ولا إلى المعني العامة ولا حتى المعاني اللغوية للألفاظ، بل إلى النظم وهو توخي معاني النحو، إذ يقوم بترتيب الكلام حسب مضمونه، ودلالته في النفس ترتيبا ينشأ عن معاني إضافية، وهي معاني ترجع إلى الإسناد، فالمتكلم ينظم أفكاره ويرتبها في الذهن، وينسقها في النفس ثم يأتي دور الألفاظ

[1] – أبو هلال العسكري، **الصناعتين" الكتابة والشعر** "، ص 19.

[2] –حمادى صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطور إلى القرن السادس، ص 520–521.

حسب الأفكار في الذهن وتنسيقها في العقل، فاللفظ يتبع المعنى في النظم لذا وجب أن يكون المعنى في النفس.[1]

[1] – بسيوني عبد الفتاح فيود، **دراسات بلاغية**، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1989م، ص 51.

المطلب الثالث: روافد ودوافع نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

روافد نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

لقد اطلع عبد القاهر الجرجاني على كل ماله صلة بقضية الإعجاز، مستقصيا منه كل ما رآه متفقا مع أصول نظريته مضيفا له الكثير لتجعل منه الأب الروحي لهذه النظرية.

ثقافة عبد القاهر الجرجاني النحوية و إمامته لهذا العلم.

توجهه النقدي، فقد كان أدبيا ناقدا، ماما بما كتب قبله حول الصراع ما بين اللفظ والمعنى.

إن عبد القاهر الجرجاني يعد مطورو لإنجازات من سبقه من البلاغيين بتقديم نظرية لغوية متكاملة عرفت لنظرية النظم، يقول محمد مندور:" فمنهج هذا المفكر الدقيق العميق هو منهج النقد اللغوي، منهج النحو، على أن نفهم من النحو أنه العلم الذي يبحث في العلاقات التي تقيمها اللغة بين الأشياء."[1]

ويشرح النظم عبد القاهر الجرجاني فيقول:" إنه النظم الذي يعبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو مجرد ضم الشيء إلى الشيء، كيفما جاء و اتفق، إنه نظير للنسج والصياغة، وما أشبه، ومن كل شيء يلاحظ فيه علة لوضع كل جزء حيث وضع وهذا يتطلب أن يرتب القائل المعاني في نفسه، فيجد الأفكار تترتب بحكم أنها خدم للمعاني وسبيل ذلك أن يضع كلامه الوضع الذي يقتضيه علم النحو.[2]

ويعد عبد القاهر الجرجاني حاسم للمعركة التي شبت ما بين أنصار اللفظ والمعنى والتي" نشأت في جو ديني يدور حول بيان إعجاز القرآن ومرجعهما إلى أيهما أسبق، اللفظ أم المعنى أم كليهما معا؟ ومن ثم فإن عبد القاهر الجرجاني حين يعرض لهذه المشكلة

[1] – محمد مندور، **النقد المنهجي عند العرب**، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، د، ت، 1996م، ص 336.

[2] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز** ،ص 97.

فإنه يصلها بالإعجاز من جديد، بعد أن انفصلت عنه زمنا على أيدي كثير من النحاة و النقاد: أمثال ابن جني الآمدي وعبد القاهر الجرجاني."[1]

وأعاد النظر فيها وثار ضد الفصل بينهما، مؤكدا على ثنائية اللفظ والمعنى، وقد تحدده معالم النظم على يد عبد القاهر الجرجاني، لأن النظم لم يكن قبله مقصودا من عمد، أو مدروسة بطريقة مباشرة كان إشارات خاطفة وفقط، ليضحي على يدي عبد القاهر الجرجاني علم مدروس قائم بذاته تجلت بوادره من خلال مؤلفه دلائل الإعجاز.

وهاهنا يمكن أن نوجز أهم النقط التي تقوم عليها نظرية النظم الجرجانية:[2]

- المعاني وعاؤها الألفاظ، والثانية وظيفتها خدمة الأولى.
- العقل هو الذي يحكم معاني التقاء الكلمات، فتنتظم وفقا لما يقتضيه.
- لابد في النظم من توخي معاني النحو، إذ يجب أن يوضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النحو.
- ليس المهم معرفة عبارات النحو نفسها، إنما المهم معرفة مدلول تلك العبارات.
- لا نظم ولا ترتيب الكلم حتى يتعلق بعضها ببعض، والتعلق هو الأساليب والأدوات النحوية.
- ليس المقصود بالنظم من الشيء إلى الشيء كيفما اتفق، بل لابد فيه من تتبع أثار المعاني و إعتبار الأجزاء

بعضها.

إذن نظرة عبد القاهر الجرجاني لثنائية اللفظ والمعنى نظرة لغوية دقيقة نتيجة التحامهما وترابطهما، إذ نظر إليهما نظرة المتفحص العارف المقادير الكلام، لذا عرف

[1] – عبد القادر المهيري، **مساهمة في التعريف بآراء عبد القاهر الجرجاني**، حوليات الجامعة التونسية، العدد الحادي عشر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1974م، ص 108.

[2] – ينظر، خالد بن ربيع الشافعي، **نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني مقدماتها أركانها قيمتها**، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية المعلمين في جازان، ص 14-15.

قيمة اللفظ والمعنى وقوى بين خصائصهما ورأى أن اللفظ جسد والمعنى روح، وبهذا خلص من فكرة الفصل بين اللفظ والمعنى، والنظم هو الجامع فيما بين اللفظ والمعنى.

الدوافع التي أدت إلى نشأة نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

تردد مصطلح النظم كثيرا في كتب العلماء كثيرا من نجاة وبلاغيين قبل الجرجاني بمئات السنين الذي تبلورت على يديه نظرية نقدية بلاغية قائمة بذاتها، ومن أبرز من مهد لهذه النظرية الصراع الذي أثاره امتزاج الثقافات وتعصب حملة نابليون للفلسفة اليونانية ومنطقهم، دفاع الثقافة العربية عن تراثهم بين متى ابن يونس و السيرافي في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات.[1]

فالأول أراد أن ينتصر للنحو أما الثاني أراد أن ينتصر للمنطق، فقد أقر يونس أن المنطق ميدانه المعنى أما النحو ميدانه اللفظ ، وكان مراد الصيرافي أن يفند هذه المقولة فراح يقدم الأدلة على أن النحو يعنى بالمعنى، وقال أيضا النحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية، وأن النحو منطق لكنه مفهوم باللغة، فكان دفاع الصيرافي عن النحو العربي دفاعا قويا أثار إعجاب الحاضرين.[2]

يقول السيرافي:" معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، بين وضع الحروف في موضعها المقتضبة لها بين تأليف الكلام بالتقديم و التأخير، وتوخي الصواب في ذلك.[3]

وهذه هي حقيقة الأفكار التي تبناها الجرجاني في تأليف مؤلفه دلائل الإعجاز

وكذا الفكرة التي كانت تطل برأسها في المجتمع الإسلامي منذ ظهور الإلحاد في القرن الأول هجري، ليضحي ظاهرة خطيرة على المجتمع خاصة في العصر العباسي الأول،

---

[1] – بدوي طبانة، البيان العربي، الطبعة الخامسة، دار العودة، بيروت، د، ت، ص 165–166.

[2] – منير سلطان، **إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة**، منشآت المعارف، الطبعة الثالثة، الإسكندرية، 1986م، ص 46.

[3] – منير سلطان، **إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة**، ص 47.

وهي التشكيك في القرآن وفي إعجازه، وعلى الرغم من بذل الجهود في تبيان القواعد التي يقف عليها إعجاز القرآن، فقد رأى عبد القاهر الجرجاني أن القضية لم تحسم بعد والواجب يفرض عليه أن يقدم فكره وقلمه فداء لهذه القضية التي تتعلق بالدين، موضحا أن الإعجاز لا يكمن في اللفظ وحده ولا في المعنى وحده، بل الإعجاز يمكن في النظم.[1]

والسبب في هذا هو فتح باب القراءات التي لم تشكلها القواعد البصرية الأولى، وهذا الأمر أدى إلى ظهور علماء نحويين مختصين في هذا المجال، وقد نتج عن ذلك تفرع في مسائل كثيرة في مجال النحو والصرف، وسارت البلاغة العربية التي انفصلت عن النحو فتحولت إلى تقسيمات وتعريفات وحدود بعيدة عن النصوص اللغوية مما أدى إلى الابعاد عن النحو.

هذه هي أهم المباحث التي أثاره الجاحظ في كتابه البيان والتبين، والتي أدخلها البلاغيون تحت علم المعاني، وقد أشار إليها إشارات خاطفة وفقط، ولكن رغم ذلك كانت الفكرة ناضجة في عقله، ليفتح أبوابا كثيرة أمام البلاغين للغوص في أغوار هذا العلم.

وبهذا يعد البيان والتبين من أهم ما ألف في هذا العصر مجسدا تاريخ البلاغة و النظم وما دار حولهما من آراء شائعة في عصر الجاحظ.

وبهذا يعد الجاحظ من أهم المؤلفين البارزين الذين قدموا للمكتبة العربية أروع ما ألفه اللسان العربي والفكر الإنساني

ليكون نبراسا للاحقين. وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني الذي تحدث في مؤلفه دلائل الإعجاز عن مجموعة من مباحث النظم.

إذن انطلاقا من هذه الروافد و الأسباب، أخرج عبد القاهر الجرجاني هذا العلم اللغوي الذي أطلق عليه إسم نظرية النظم والتي استكمل فيها كل النقائص التي تركها البلاغيون

[1] – أحمد سيد عمار، **المرجع السابق**، ص 58.

والنقاد قبله، حيث جمع الشتات الذي كان سائدا بين النقاد القدامى الذين فيقول بين اللفظ والمعنى وانقسموا إلى طوائف، وكل ذلك من خلال جمعه للفظ والمعنى وإعطائه لكل منهما حقه، وبهذا بلغت النظرية ذروتها ووصلت إلى مرحلة النضج.

المبحث الثاني : قراءة منهجية في دلائل الإعجاز.

المطلب الأول: فهرست لموضوعات دلائل الإعجاز.

تعد نظرية النظم من أهم إنجازات النقد العربي القديم، التي شغل بها مجموعة من النقاد والبلاغيين منذ أمد بعيد، حيث مرة بمراحل متباينة بداية من شذا محاولات ودراسات فردية بسيطة، إلى أن وصلت مرحلة النضج وأضحت نظرية متكاملة لازالت الدراسات بصددها كل يوم تخلق الجديد حولها.

وقد جاء تعريف مصطلح النظم في العديد من المعاجم العربية منذ القدم، وأولى هذه المصادر التي عنيت بهذا المصطلح معجم العين للفراهيدي الأولى غداة ذلك تعريفات لهذا المصطلح في معاجم مختلفة، منها من إهتم بالألفاظ ومنها من إهتم بالمصطلح ، وقد تناولها هذه المعاجم بكثير من الحرص والدقة والضبط لغويا جامعا مانعا يميزه عن غيره من المصطلحات، حيث كان شائعا هذا المصطلح في بيئة الأشاعرة إذ كانوا يعملون إعجاز القرآن بنظمه، ليجعله عبد القاهر الجرجاني محور نظريته وجوهرها، إذ خص بعرضها وتفصيلها مؤلفه **دلائل الإعجاز**، وقد استقينا من هذه المعاجم جملة من التعريفات حسب الترتيب الزماني لكل معجم منها:

مفهوم النظم:

01- لغة:

جاء في معجم العين للخليل:" نَظَمَ: النَظْمُ نَضْمُكَ خُرزًا بعضه إلى بعض في نظام واحد، وهو في كل شيء حتى قيل: ليس لأمره نظام أي لا تستقيم طريقته، و النِظَامُ: كل خيط ينظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظام."[1]

وفي لسان العرب لابن منظور:" نَظَمَ النظْمْ: التأليف نظَمَهُ ينْظُمُهُ نَظْمًا ونظَمَهُ فانتظم و تنَظّمَ، نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله قرنته بآخر أو ضممت بعضه

[1] - أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، **معجم العين**، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، الجزء الثامن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1988م، ص 165.

إلى بعض فقد نظمته ... و النِظَم كل ما نظمْتْ فيه الشيء من خيط وغيره وكل شعبة منه وأصل نظام، ونظام كل أمر ملاكه، والجمع أنظمة و أناظيم ونظم."[1]

وفي مقياس اللغة للرازي جاء في مادة (ن، ظ، م)

نظْم :النون والظاء و الميم أصل يدل على تأليف شيء و تكثيفه، ونظمت الخرز نظما، ونظمت الشعر وغيره، والنظام: الخيط الذي يجمع به الحرز، والنظامان: من الضب كوشيتان من جنبيه منظومان أصل الذنب إلى الأذن، وانتظمت الدجاجة: صار في جوفها بيض، ويقال: لكواكب الجوزاء: نظَم: وجاءنا نظْم من جراد أي كثير."[2]

الصحاح للجوهري:" نظم: نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك والتنظيم مثله، ومنه الشعر ونظمته، والنظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ، ونظم اللؤلؤ، وفي الأصل مصدر، وجاءنا ناظم من جراد وهو كثير، ويقال لثلاثة كواكب الجوزاء نظم: و الانتظام الاتساق، وطعنه فانتظمه ، أي احتله، والنظامان من الضب كوشيتان منظومتان من جانبي كليته طويلتان، ونظمت الدجاجة إذ صار في بطنها بيض."[3]

وجاء في لسان العرب لابن منظور:" التأليف نظمه ينْظَمه ونظاما و نظّمه فانتظم وتنظّم، ونظّمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر ونظمته، ونظُم الأمر على المثل، وكل شيء."[4]

قرنته لآخر أو ضممت بعضه إلى بعض، فقد نظمته، والنظم: نظمته، والنظم: المنظوم، وصف بالمصدر والنظم ما نظمته، والنظام: ما نضمت فيه الشيء من خيط وغيره، وكل شعبة منه، وأصل نظْم: ونظام كل أمر: ملاكه، والجمع أنظمة و أناظيم، ونظم الليث: النظم نظمك الخرز بعضه إلى بعض في نظام واحد، كذلك هو في كل شيء حتى يقال: ليس لأمره نظام أي لا تستقيم طريقته، والنظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ، قال: وهو في الأصل مصدر، و الانتظام الاتساق.

[1] - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: أحمد عامر حيدر، الجزء الثاني عشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003م، ص 686.
[2] أحمد بن فارس الرازي، **معجم مقايس اللغة**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، المجلد الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 2011م، ص 567.
[3] - الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، 1984م، ص 950.
[4] - أبن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: خالد رشيق القاضي، دار الأبحاث، الطبعة الأولى، الجزائر، 2008م، ص 187.

والنظامان من الضب: كوشيتان منظومتان في جانبي كليتيه طويلتان، ونظاما الظبية، وإنظاماها: كوشيتان وهو خيطان منتظمان بيضا يمتد بجانبيها من ذنبها إلى أذنها، ويقال: في بطنها أنظامان من بيض، وكذلك أنظاما السمكة، وحكي عن أبي زيد: أنظومتا الضب والسمكة، وقد نظمت ونظمت وأنظمت، وهي ناظم ومنظم، وذلك حين تمتلئ من أصل ذنبها إلى أذنها بيضا ويقال: نظمت الضبة بعضها تنظيما في بطنها ونظمها نظما، وكذلك الدجاجة أنظمت إذا صار في بطنها بيض، والنظام: نفس البيض المنتظم كأنه منظوم في سلك، و الانتظام من الخرز: خيط قد نظم خرزا، وكذلك أناظم مكن الضبة، ويقال: جاءنا نظم من الجراد وهو كثير ونظام الرسل وأناظمته، ضفرته وهي ما تعقده.

ونظم الحبل: شكه وعقده، ونظم الخواص المقل، ينظمه شكه وضفره.[1]

أما تاج العروس للزبيدي:" نظْم: النظْم: التأليف، و ضم الشيء إلى شيء آخر وكل شيء قرنته بآخر فقد نظمته.

النظم: المنظوم، باللؤلؤ والخرز، وصف بالمصدر يقال: نظم من لؤلؤ، والنظم: الجماعة من الجراد، يقال: جاءنا نظم من جراد، وهو الكثير كما في الصحاح وهو مجاز، وأيضا على ثلاثة كواكب من الجوزاء كما في الصحاح ونظم وقيل : ماء بنجد و النظْم: الثريات على التشبيه من النظم باللؤلؤ، والنظم أيضا: الدبوران الذي بلى الثريات، ونظم اللؤلؤ ينظمه نظما ونظاما، بالكسر ونظمه تنظمًا: ألفه وجمعه في سلك فانتظم وتنظْم، ومنه جمعت الشعر ونظمته، و نظم الأمر على المثل وله نظم حسن، درُ منظوم، ومنظم وانتظم بالرمح، اختل وانتظم ساقيه وجانبيه كما قالتا، أفتل فؤاده، أي ضمها بالسنان.[2]

ولقد ورد في كتاب التعريفات للجرجاني النسق بلفظ النظم حيث ورد في المعجم المحيط:" النسق من كل شيء: ما كان على نظام واحد."[3]

وتجدر الإشارة هاهنا إلى أن النسق انحصر في تسميات: الجمع، النظم، الضم، الربط،

[1] - أبن منظور، **لسان العرب**، ص 187.
[2] محمد مرتضى الزبيري، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: نواف الجراح، سمير شمس، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، تلمسان، الزائر، الطبعة الأولى، 2011م، ص 254.
[3]- الصاحب ابن عباد، **معجم المحيط في اللغة**، مكتبة المنشأة الإسلامية، ملف الثاني، ص 177.

كما ورد النظم عند الفيروز الأبدي هو: التأليف وضم الشيء إلى شيء آخر، ونظم اللؤلؤ ينظمه نظما ونظاما ونظمه: ألفه وجمعه في السلك فالنتظم وتنظم ... والنظام كل خيط ينظم به اللؤلؤ ونحوه.[1]

وفي المصباح المنير:" نظمت الخرز نظما من باب حزب جعلته في سلك، ونظمت الأمر فانتظم أي أقمنه فاستقام وهو على نظام واحد، أي نهج غير مختلف، ونظمت الشعر نظاما.[2]

نستنتج أن التعريف اللغوي هو:

ضم الشيء إلى الشيء وتنسيقه على نسق واحد كحبات اللؤلؤ المنتظمة في السلك.

والتعريف الاصطلاحي ليس ببعيد عن التعريف اللغوي، ويختلف مفهوم النظم من باحث إلى آخر باختلاف تخصصاتهم.

يقول فخر الدين الرازي:" خلاص الكلام من التعقيد، وأصله من الفصيح، وهو اللين الذي أخذت منه الرغوة."[3]

في حين يعرفها عبد القاهر الجرجاني:" واعلم أن النظم ليس إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه على النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحافظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها."[4]

فالنظم عند الجرجاني يستدعي توخي معاني النحو والعمل وفق أصوله ولا يمكننا الخروج عن قواعده إذ أن أي خروج عنها سيؤدي إلى اختلال المعنى.

وهذا يعني أن النظم في جوهره هو النحو في أحكامه، وبهذا فالنحو والنظم تجمعهما علاقة تكامل ولا يمكن تقديم أحدهما على الآخر.

[1] الفيروز الأبدي، **القاموس المحيط**، المطبعة الأمدية، الطبعة الثالثة، 1301 ه، مادة نظم، ص 1162.
[2]- أحمد بن محمد بن علي المقر القيومي، **المصباح المنير**، الجزء الثاني، د، ط، د، ت، ص 132.
[3] - فخر الدين الرازي، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، نقلا عن: صالح بالعيد، نظرية النظم، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة الجزائر، د، ط، 2002م، ص 161.
[4]- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 24.

" النظم هو تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل الألفاظ مترتبة المسوفة المعبرة ودلالاتها على ما يقتضيه العدد.[1]

كما قدم قدامة بن جعفر تعريفا النظم فقال:" ومن أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى المساواة، وهو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزداد عليه ولا ينقص عنه ولا بفضل أحدهم على الآخر."[2]

وتحدث سيبويه في هذا المدار عن النظم فقال:" هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة، فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم وهو محال كذب."[3]

إذن بهذا جعل سيبويه مدار الكلام على تأليف العبارة وما فيها من حسن أو قبح أو استقامة أو إحالة، والمعنى بما فيه من صدق أو كذب.

هذا عند القدماء أما المحدثين فيقول صالح بالعيد:" النظم هو ظم وتأليف مجموعة من العناصر المتحدة في العملية اللغوية، ليكون الكلام حسنا حسب خصائص معينة هي:[4]

حسن الاختيار لأصوات الكلمة.

تعليق الكلمة في ذاتها.

تعليقها بما يجاورها وليس بضم الكلمات كيفما جاءت.

مراعاة الموقع النحوي الأصيل حسب ما تقتضيه بيئة العربي.

مراعاة المعنى المباشر (السطحي) غير المنزاح، والمعنى الغير مباشر (المنزاح).

إذن بهذا النظم هو وضع الكلمات حسب ما يقتضيه الحال، وفق التأثير المأثور عن العرب، باعتباره المقياس الحقيقي للبلاغة.

---

[1] - الشريف الجرجاني، **كتاب التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، 1985م، ص 261.
[2] - قدامة بن جعفر، **نقد الشعر**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982م، ص 171.
[3] - محمد زغلول سلام، **أثر القرآن في تطور النقد العربي**، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ص 105.
[4] - أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، **المصباح المنير**، الجزء الثاني، د، ط، د، ت، ص 132.

نلاحظ من خلال التعريفين اللغوي و الاصطلاحي أنهما يتفقان في كون النظم هو التأليف، وضم الكلمات بعضها إلى بعض حسب ما يقتضيه العقل والمنطق، وذلك على مستوى الحروف والكلمات والجمل.

إذن فكرة النظم كانت من أبرز وجوه الإعجاز عند العلماء، ومن أظهر مفردات الإيقاع في القاموس الخطاب القرآني، ليقف العديد من العلماء على هذا المصطلح الخطابي الروماني الباقلاني السكاكي ورائد هذه النظرية التي رسم معالمها عبد القاهر الجرجاني.

ومن هنا يمكننا القول أن النظم هو محصلة العلاقات السياقية التي تتضح في الوحدة الشاملة بين أجزاء الجملة وبين الجملة والجملة في مجموعة من العلاقات المتناسقة والمنتظمة بين أطراف الكلام.

نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

قبل الولوج في ضبط مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني سوف ندرج أهم النقط التي تتكون منها نظرية النظم الجرجانية.

أهم النقط التي تتكون منها نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني:

المعاني وعائها الألفاظ، والثانية وظيفتها خدمة الأولى.

العقل هو الذي يحكم التقاء معاني الكلمات، فتنتظم وفقا لما تقتضيه.

لا يد في النظم أن تتوخى معاني النحو، إذ يجب أن يوضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النحو.

ليس المهم معرفة عبارات النحو نفسها، إنما المهم معرفة مدلول تلك الكلمات.

الاستعارة وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم.

لا نظم ولا ترتيب الكلم حتى يتعلق بعضها ببعض، والتعلق هو الأساليب و الأدوات النحوية.

ليس المقصود بالنظم ظم الشيء إلى الشيء كيفما إتفق بل لابد فيه من تتبع آثار المعاني و إعتبار الأجزاء مع بعضها.

ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، أي أن تتوخى فيه معاني النحو.[1]

شاع النظم منذ القرن الثاني هجري، ورغم هذا لا ينبغي نفي الجهود التي قام بها عبد القاهر الجرجاني، في تحديد معالمه ووضع أسسه لله نظام من التفكير كان ملتزما به أشد التزام وهو ما حداه إلى وضع نظريته والذود عنها وحشد الأدلة والبراهين على ذلك، وقد كان نظام تفكيره سائدا في عصره، لينقل التفكير من ساحة اللغة إلى ساحة النحو، ومن ساحة الشرح إلى ساحة النقد، ومن ساحة الفصاحة والبيان إلى ساحة البلاغة.

مرتكزة على أفكار ورأى سابقيه لتكون النبراس إله والشمع المضيء لدربه لأنه لم ولن تكون النظرية على هذا المستوى من النضج والاكتمال من أول يوم لها يقول:" وقد علمت إطباق العلماء عن تعظيم شأن النظم، وتفخيم قدره، والتنويه بذكره، إجماعهم أن الفضل من عدمه، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ."[2]

ولكن رغم هذا فقد امتاز عبد القاهر الجرجاني بدقة الرؤية وصولي المنهج مما ساعده على تناول قضية الإعجاز القرآني من خلال بحثه في النظم، بعد أن ألم بجميع جوانبه لتضحي نظرية متكاملة تعنى بها جميع الدراسات حتى في وقتنا الحالي رغم مرور العصور.

صرح عبد القاهر الجرجاني أن هدفه من وراء هذا المؤلف، هو وضع القارئ يده على الخصائص والمزايا التي تعرض في الكلام حتى يفضل بعضه من بعض، ثم يتعاظم هذا الفضل حتى يبلغ الإعجاز الذي تنقطع عنده أعناق البلغاء، يقول:" ولم أزل منذ خدمة العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى، الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة."

[1] - علي نصوح علي مواسي، **النحو البلاغي وعلاقته بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز.**
[2] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 93.

ومن ها هنا نجد بعض الرمز والإماء و الإشارة، وبعضه على التنبيه على مكان الخبيء ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج وكما فتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه وتوضع لك القاعدة لتبني عليها، ووجدت على أن المعول هاهنا نظمأ وترتيبا، وتأليفا وتركيبا، وصياغة وتصويرا، ونسجا وتحبيرا.

عرض عبد القاهر الجرجاني نظريته بطريقة تغايير سابقيه مطلعا على أهم ما كتب في قضية الإعجاز وكذا بسبب ثقافته النحوية و إمامته لهذا العلم، التي أمدته بفكرة النظم والتي أضحت على يديه نظرية علمية.

وفكرة النظم عنده خلاصة آراء عبد القاهر الجرجاني اللغوية والبلاغية، فاللغة عنده مجموعة من العلاقات المتفاعلة والفاعلة والتي تحمل نسيجا متشعبا من المشاعر و الأحاسيس، ليوضح النظم الذي هو صياغة الجمل ودلالتها على الصورة، وهذه الصيغة هي محور الفضيلة والمزية في الكلام .

ولقد اعتمد عبد القاهر الجرجاني في تحليل الكلام على توجه عقلي مسبق و أسس معرفية واضحة تيسرت له باعتقاد مطلق مفاده أن" قضايا العقول هي القواعد والأسس التي ينبني عليها غيرها والأصول التي يرد ما سواها إليها."[1]

وقد حقق فعلا الجدارة في النظم ليجعله سبيلا لدراسة البلاغة وأسرار الإعجاز.

وقد انطلق من ثنائية اللفظ والمعنى، وما ترتب عنهما من مبالغات حول تفضيل أحدهما على الآخر، وكانت من أبرز المسائل التي عني بها في كتابه، وكيف لا واللفظ و المعنى أساس الظاهرة اللغوية

ويقر الجرجاني أن وحدات اللغة ألفاظ، وبفضل النحو نستعمل ألفاظ، وبفضل النحو نستعمل الألفاظ لنشكل التراكيب، وهي تتجدد دائما بفضل النحو نستعمل الألفاظ _لنشكل التراكيب.

[1] حمادي صمود، **التفكير البلاغي عند العرب** ، ص 438.

إذن الألفاظ عند الجرجاني هي رموز للمعاني والإنسان يتعرف على مدلول اللفظ المفرد أولا، ثم يتعرف على مدلول داخل التركيب فالألفاظ سمات لمعانيها، ولا يمكن أن تسبق الألفاظ معانيها، وبهذه الأفكار تجسدت لنا نظرية النظم.

يقول:" واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئا يتبعه الناظم ينظمه، غير أن ينظر في وجه كل باب وفروقه فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراه في قولك:" زيد منطلق، وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، والمنطق زيد، وزيد هو المنطلق، وزيد هو منطلق، وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجتُ، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج ... ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار فيضع كل من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له، هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئا يرجع صوابه، إن كان صوابا، وخطأه إن كان خطآ، إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو، قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأول عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له."[1]

والواضع مما سبق أن الجرجاني ينكر القسمة فيما بين اللفظ والمعنى ويرد المزية في الكلام إلى السياق، التي تتعاون فيه جميع دلالات الكلمة لتأدية المعنى عن طريق النظم الذي هو صنعة يستعان عليها بالفكرة.

والنظم عنده ليس اتصال الألفاظ وترابطها وتتاليها من حيث هي حروف أو أصوات وإنما هو تتالي معانيها واتساقها فيما بينهما، مشيرا إلى الفرق بين حروف منظومة وكان منظومة."[2]

[1] - عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 63.
[2] - عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 40.

ومنه فتوالي الحروف أو ترتيبها رسما أو نطقا يتم بطريقة إعتباطية لا دخل للإنسان بها، وليس هناك من تفسير التوالي هذه الحروف في الكلمة سوى ما يفرضه جهاز النطق عند الإنسان أي ما يتلاءم وطبيعته الخلقية وهذا ما يتفق فيه مع العالم دي سوسير في القول:" باعتباطية العلاقة بين الدال والمطلوب."[1]

فلو أن واضع اللغة كان قد قال ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد.[2]

وهاهنا النظم الذي عناه الجرجاني هو نظم الكلم الذي يأتي من اقتضاء المعنى، ليقف في هذا:" أن نظم الألفاظ يجب أن يقترن بترتيب المعاني، لأن المعاني هي الأساس الذي يجب أن يراعى عند نظم الكلام، ثم تأتي الألفاظ لتستوعب هذه المعاني لأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم، بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق، واعلم أنك إذا رجعت نفسك عملت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويتبنى بعضها على بعض، ولا تجعل هذه بسبب تلك.[3]

وحين أمعن عبد القاهر الجرجاني النظر في طرائق التعبير القرآني وما تنطوي عليه من الأسرار والدقائق تأكد أن مدار هذه الأسرار كانت في نظمه وتأليفه العجيب وأنه لا يهتدى إليه إلا من أوتي، ملكة الذوق الرفيع و الحس المرهف فقال في ذلك:" لأن المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانهم، وتصور لهم شأنها أمور خفية ومعاني روحانية أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها، وتحدث له علما بها حتى يكون مهيئ لإدراكها وتكون فيه طبيعة قابلة لها، ويكون له ذوق وقريحة يجد لها، في نفسه إحساسا شأن هذه الوجوب والفروق أن تعرض فيها المزية على الجملة و ممن إذا تصفح الكلام وتدبر الشعر فرق بين موقع شيء منها حتى إنه لا يكون أن يقع للرجل الشيء من الفروق والوجوه شعر بقوله رسالة يكتبها الموقع الحسن ثم لا يعلم أنه قد أحسن ..."[4]

---

[1] - فرديناند سوسير، **دروس في الألسنية العامة**، تعريب: صالح الفرمادي و محمد شاوش و محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985م،ص 111.
[2] - عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 40.
[3] - عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 38.
[4] - عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 420-421.

إن مصطلح النظم بالمفهوم الذي يحمله اللفظ في النظريات المعرفية المعاصرة لم يتحقق في تقديرنا إلا مع عبد القاهر الجرجاني عندما استطاع أن ينضج هذا المفهوم بما بسطه من التنظير والتطبيق في مؤلفه **دلائل الإعجاز**، وقد ذكر هذا المصطلح بكليمات رديفة في سياق واحد من كتاب الدلائل لم يذكره مفصلا في غير هذا الموضع قائلا عن النظم:" ... ووجدت المعول على أن هاهنا نظما وترتيبها وتركيبا وتأليفا وصياغة وتصورا ونسجا وتحبيرا، وأن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي المجاز فيه سبيلها في الأشياء، التي هي حقيقة فيها ...."[1]

وإذا نظرنا إلى هذه الألفاظ الثمانية التي يقدمها نص الجرجاني وجدنا أنها تحيط المدلول النظم عندهم جملة وتفصيلا

يقول في هذا السياق محمود توفيق محمد سعد صاحب مؤلف نظرية النظم وقراءة الشعر

" وأنت إذا ما نظرت في هذه الثمانية ترى أنها بدأت بالنظم و انتهت بالتحبير وأن الإمام قد نسقها، على نحو لم يقع منه في أي موطن من كتابه دلائل الإعجاز ولا غيره، وأنت إذا نظرت في نسقها رأيت في توقيعها النغمي توازنا ... وهذا النسق ترى فيه تصاعدا يشير إلى منازل هذه السمات من بلاغة الخطاب فمبدأ بلاغته النظم، ومنتهاها التحبير."[2]

ثم يضيف الباحث قائلا: وهذه السمات الثمانية لبلاغة الكلام قسمان، كل قسم أربع سمات، وكل قسم ضربات.

القسم الأول:

سمات البناء:

النظم و الترتيب والتأليف والتركيب.

بالأول والثاني وأنا أعني هاهنا" النظم والترتيب " يمثلان درجة الجوار، بين عناصر الكلام البليغ، وفق علاقة ظاهرية.

[1] - عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 29.
[2] - محمود توفيق، **نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر الجرجاني**، ص 07.

والثالث والرابع " التأليف والتركيب "، يمثلان درجة الحوار بين عناصر الكلام البليغ، وفق علاقة باطنية.

القسم الثاني:

سمات التصوير:

الصياغة والتصوير والنسج والتحبير.

بالأول والثاني" التصوير والصياغة " يمثلان درجة السبك والصياغة، الرسم وصناعة المعادن.

الثالث والرابع" النسج والتحبير " يمثلان درجة السبك والحبك أي النقش وصناعة النسيج.

لم يهتم الجرجاني بالبديع لأسباب منهجية كالبلاغة، إذ يقف ضد التيار الشكلي الذي أنشأه الجاحظ.

فقد صاغ الجرجاني نظريته في النظم من رحم النحو ثم ألبسها قول البلاغة والبيان بما أدركه من أسرار التركيب القائم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي تكون فيها من جهة ما يراد لها من الأغراض والمقاصد ولم يقتصر في ذلك على ما ينشأ في نظم الكلام من المزايا والمحاسن التي تأتيها، من جهة ماله صلة بعلم المعاني، كالتقديم والتأخير والإضمار والإظهار والحذف والزيادة، بل جعل ذلك شاملا لمجالات التصوير بضروب البيان المختلفة لأنه لم يتصور تحققها وأشكال تعبيرية تصويرية عند عبد القاهر الجرجاني إلا داخل فكرة النظم، القائمة في جوهرها على مبدأ التعالق بين أركان الجملة في أبسط مستوياتها، التي بنى عبد القاهر الجرجاني على أساسها النحوي جميع أركان نظريته في النظم حيث جعل مضمون هذا التعالق مفتاحا لكتابه دلائل الإعجاز.

يقول في مقدمة كتابه:" معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض والكلم ثلاث إسم وفعل وحرف وللمتعلق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام : تعلق إسم باسم، وتعلق إسم بفعل وتعلق حرف بهما. "[1]

[1] - عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 09.

ويقول أيضا:" واعلم أن النظم ليس إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ...[1]

هذا وقد نوه عبد القاهر الجرجاني على ضرورة وجود التعالق وكذا بين مواطن التفاضل بين هيئات هذا التركيب، وقد فصل في ذلك مستقصيا وجوه هذا التعالق ثم قال:" فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض، وهي كما تراه معاني النحو وأحكامه."[2]

ومن هنا كانت معاني النحو هي الموجه الأساسي لكل الصيغ التركيبية حقيقة كانت أم مجازية، في إصابة المعاني والأغراض على الوجه الحسن والذي يوصف لأجله التعبير اللغوي بالبلاغة والبراعة وحسن البيان.

لقد تحدث عبد القاهر الجرجاني عن النظم عقب فكرة التعالق، وأثار في طريقه مصطلحات مماثلة كثيرة أشرنا إليها سالفا.

ولكن فكرة التعالق كما يقول تمام حسان:" هي أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر الجرجاني على الإطلاق."[3]

وفكرة التعالق بنظره هي:" مرجع الصحة والفساد والمزية والفضل."[4]

كما يرى تمام حسان في حديثه عن التعليق الذي أثاره الجرجاني

" بأنه الفكرة المركزية في النحو العربي، وأن فهم التعليق على وجه كافي وحده للقضاء على خرافة العامل النحوي والعوامل النحوية، لأن التعليق يحدد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق، ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعا، في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية."[5]

والتركيب مهما حدث فيه من الإبداع والبراعة، فإنه يظل دون مستوى تحقيق البلاغة والبيان لأنه كان يشترط لها متلقي.

---

[1] - عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 64.
[2] - عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 65.
[3] - تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 188.
[4] - تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 189.
[5] - تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص. 189.

وقد كان الجرجاني يراعي المتلقي، لأن جمال الأسلوب يقابله جمال حسن المتلقي لتحدث تلك الروعة.

ومثال ذلك: القرآن الكريم إذا قرأ القرآن على الأموات يفزعون، وربما إذا قرأ على الأحياء لا يتدبرون.

ورغم الجهد الجلي الذي قدمه الجرجاني إلا أن هناك نفر من العلماء الذين رأوا أن الجرجاني لم يخلق الجديد ولم يبتعد أي نظرية هي آراء القدامى وسلف رواه لنا وفقط، وأنه لم يطور الدرس البلاغي كما توعد، وأنه لم يقم بأي جهد تأليفي يبين ربط النظم بمعاني النحو، وأنه لم يقدم مفهوم دقيق لكلمة النحو، وفي تحليله للنماذج الأدبية لم يستطع الإفلات من التأثيرية والانطباعية في أحكامه الأدبية، وهذا الأمر هو الذي لم يستطع معرفة الأبعاد التي يستعمل فيها المصطلح ولا دوره في توليد جمال النصوص وكشف أسرار بلاغتها.[1]

من خلال هذا القول نلتمس تزمت طائفة من العلماء على ما جاء به الجرجاني ونفي أبوته لهذه النظرية بمعتقد أنه لم يخلق الجديد ولم يبتكر أسس وقوانين ولم يصل بالدرس البلاغي ولا اللغوي للمكان الذي توعد به فقد اكتفى بنقل أقوال ورأى السابقين وفقط.

وحشد على هذه الطائفة نذكر قول تامر سلوم:" إن النظم عند عبد القاهر الجرجاني أكثر من أن تحيط به دراسة، وأوسع من أن تحده نظرة سطحية قاصرة عن الخوض في كنهه سوبر أغواره، قائلا:" إن النظم ليس له إطار يحدده أو سور يحيط به بدقة، ومن الصعب تلخيص مدلول في ناحية أو كيفية معينة."[2]

إذن الغرض من النحو عند عبد القاهر الجرجاني ليس غرضا شكليا إعرابيا إذ لا يرى قيمة للحركات التي تطرأ أواخر الكلمات، لأن العلم بما يناسب الوظائف من حركات علم مشترك بين جميع العارفين باللغة ... كما أنه لا يتصور أن يقع التفاضل من أجلها وأن تكون لنفس الحركة مزية في كلام، ثم لا تكون لها تلك المزية في كلام آخر.

[1] - بتصرف، حمادى صمود، **التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطور إلى القرن السادس**، ص 510-511.
[2] - تامر سلوم، **نظرية اللغة والجمال في النقد العربي**، دار الجوار للنشر والتوزيع، سورية، اللاذقية، الطبعة الأولى، 1983م، ص 126.

وفي هذا يقول:" ولا يجوز إذا عدت الوجوه التي تظهر بها المزية أن يعيد فيها الإعراب وذلك أن العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلهم، وليس هو مما يستنبط بالفكر ويستعمل عليه بالروية ..."[1]

المبحث الثاني : قراءة منهجية في دلائل الإعجاز.

المطلب الأول: فهرست لموضوعات دلائل الإعجاز.

الكتاب: دلائل الإعجاز في علم المعاني.

المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني.

المتوفي: 471 هجري.

المحقق: محمود محمد أبو شاكر فهر.

الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

الطبعة: الثالثة 1413 هجري- 1992 ميلادي.

عدد الأجزاء: واحد.

مقدمة.

+ دلائل الإعجاز.

فاتحة المصنف في مكانة العلم.

الكلام في الشعر.

الكلام في النحو.

[1] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 203.

تمهيد للكلام في الفصاحة والبلاغة.

الكلام في إعجاز القرآن من التمهيد.

تحقيق القول في البلاغة والفصاحة.

الكناية والاستعارة و التمثيل والاستعارة.

ترجيح الكناية والاستعارة والتمثيل على الحقيقة.

تفاوت والاستعارة والكتابة والتمثيل.

القول في نظم الكلام ومكان النحو منه.

مزايا النظم بحسب المعاني والأغراض.

في النظم يتحدد في الوضع ويحق فيه الصنع.

+ التقديم والتأخير.

مدخل.

مواضع التقديم والتأخير:

مواضع التقديم والتأخير: الاستفهام.

مواضع التقديم والتأخير: النفي.

مواضع التقديم والتأخير: الخبر.

مواضع التقديم والتأخير: مثل وغير.

مواضع التقديم والتأخير: قاعدة عامة.

تقديم النكرة على الفعل وعكسه.

+ القول في الحذف.

مدخل.

القول في حذف المبتدأ.

القول في حذف المفعول به.

القول في الحذف: نتيجة.

+ الفروق في الخبر تقسيمه:

مدخل.

الفروق في الخبر: الاسم والفعل في الإثبات.

الفروق في الخبر: التعريف والتنكير في الإثبات.

الفروق في الخبر: القصر في التعريف.

الفروق في الخبر: نكت أخرى للتعريف.

الفروق في الخبر: التعريف بالذي.

الفروق بالحال.

باب الفصل والوصل.

+ باب اللفظ والنظم.

مدخل.

باب اللفظ والنظم: فصل منه.

باب اللفظ والنظم: فصل في المجاز الحكمي.

باب اللفظ والنظم: فصل منه.

باب اللفظ والنظم: فصل في إن ومواقعها.

باب القصر الاختصاص.

باب اللفظ والنظم.

+ باب القصر و الاختصاص.

فصل في ما وإلا.

فصل في العود إلى مباحث إنما.

+ باب اللفظ والنظم.

فصل: إزالة شبهة في شأن النظم والترتيب.

فصل: النظم والترتيب وتوخي معاني النحو.

عود إلى مسألة اللفظ والمعنى وما يعرض فيه من الفساد.

تمام القول في النظم وأنه توخي معاني النحو.

تحرير القول وبهذا فليست مجموعة من الخصائص تتعلق باللفظ المفرد في ذاته كما يزعم أنصار اللفظ، أن توجد في كل لفظ اجتمعت فيه تلك الخصائص ولما فارقته الفصاحة ولكن الحقيقة خلاف ذلك إذ لو كان نقهت الحديث بالكسر أفصح منه بالفتح أن يكون سبب كل فعل مثله في الزنة في الإعجاز والفصاحة والبلاغة للمعاني.

خاتمة كتاب دلائل الإعجاز.

+ رسائل وتعليقات: كتبها عبد القاهر الجرجاني.

إزالة الشبهة في جعل الفصاحة والبلاغة الألفاظ.

الموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المتحد.

القسم الثاني: من الموازنة بين الشعرين والإجادة فيهما من الجانبين.

وصف الشعر والإدلال به.

عود إلى الاحتجاج على بطلان مذهب اللفظ.

الخبر وما يتحقق به الإسناد.

الخبر وما يتحقق به الإسناد: فصل منه.

إدراك البلاغة بالذوق وإحساس النفس.

فصول ملحقة بالكتاب.

+ الرسالة الشافية في وجوه الإعجاز.

الرسالة الشافية في وجوه الإعجاز والقول في الصرفة.

+ الفهارس:

فهرس آيات القرآن العظيم.

فهرس الحديث.

فهرس الشعر.

فهرس الشعراء.

فهرس الأعلام.

فهرس الأماكن.

فهرس لأمثال و الأقوال.

فهرس دلائل الإعجاز.

ومن خلال هذه الفهرسة نجد أن الباحث أراد استجلاء الملامح الرئيسية في **نظرية النظم**، والتي تعد أولى النظريات الناضجة في تاريخ الآداب العربية، على سائر شروط النظرية العلمية المعتبرة، على نحو يقربنا من المفهوم الحديث للنظرية، وهذا المؤلف يعد أحد اللبنات التي ضجت الساحة النقدية بها، ومن خلال ما تقدم في هذا المؤلف يتضح جليا أن النقد العربي القديم بقضاياه وموضوعاته ونقاده، كان نقدا مثاليا جمع جوانب هذا الأدب الشكلية والمضمونية، بغرض تحقيق هدف واحد هو تجريدها والحفاظ على بريقها.

وهاهنا نقر بأن عبد القاهر الجرجاني استطاع وبجدارة تطبيق هذه النظرية تطبيقا علميا منهجيا على آيات من كتاب الله عز وجل، وعلى نصوص من أشعار العرب، فجمع بذلك

بين النظرية والتطبيق، وأسس لفرع هام من الدراسات البلاغية النقدية أفاد كل من خلفه في هذا المضمار.

لقد طبق الجرجاني قواعد النظم على النصوص فتناول دور المعنى في خدمة النظرية ومن ذلك:

باب التقديم والتأخير: "وهو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، بعيد الغاية."[1]

1- **تقديم على نية** التأخير[2]: كخبر المبتدأ في قولك: (منطلق زيد) فمعلوم أنّ منطلقّ لم تخرج بالتقديم عما كانت عليه من كونها خبر مبتدأ.

2- **تقديم لا على نية التأخير**[3] :وهو أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم، وتجعله بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ والآخر خبرا له، فتقدم تارة هذا على ذلك، وأخرى ذلك على هذا لعلة بيانية ولفضل بلاغية.

3- **باب الحذف:** " **وهو باب دقيق المسالك عجيب الأمر، فإنك ترى به ترك الذّكر أفصح من الذكر، وتجدك** أنطق ما تكون إذا لم تنطق"[4].

و الإمام يسعى لتأكيد مقدرة النظم على كشف أدبية الأثر الأدبي، وجودة خصائصه الفنية بمدى التزام مبادئ النظم ومجاراتها القواعد النحوية، فالنص الأدبي عنده يقوم على نظمه على أساس من علم النحو، وطبيعي أن النحو يعنى ببناء الكلمة وإعرابها، ومعرفة هذه الصيغة إن كانت منصبة على اللفظ، فإنها ترتبط بمعنى اللفظ في وضعه بمكانه من المعنى المراد، لأن المعاني لا يحل إبهامها ما لم يقصد إليها من خلال الألفاظ، والألفاظ لا يفهم مؤداها مالم تضبط صياغة وتصريفا ونحوا وبناء وإعرابا على حد سواء، فهما متعاونان معا على كشف العلاقة التي عبر عنها بالنظم.

[1] - عبد القادر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 143.
[2] - عبد القادر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 143-144.
[3] - عبد القادر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 143-144.
[4] - عبد القادر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 170.

باللفظ والمعنى عند عبد القاهر الجرجاني وغيره، من نقاد العرب، هما أساس بناء وصياغة ونص أدبي تتدرج مقوماته في معرفة قواعد النظم (النحو) وكيفية تطبيقها على النصوص الأدبية.

ومن الملاحظ عند الجرجاني أن التقديم والتأخير ذو أهمية كبيرة في نظم الشعر لما فيه من قيمة فنية وجمالية، معتمدا في منهجه التطبيقي على أساس مهم هو إدراكه الذوقي لكل المفارقات، التي تكون في الاستخدام اللغوي للكلمات، وقد منحته ثروته اللغوية وإلمامه الواسع باللغة، القدرة على الوعي بما تحمله الكلمة من ظلال مختلفة من المعنى بالقياس إلى السياق الذي وردت فيه.

ومضمون الكلمة عنده يقل أو يكثر بحسب علاقاتها بالموكب المتحرك الذي تسير فيه الكلمة مع ما تقدمها وما تلاها من ألفاظ، وهذا المنهج الذي يفسر القيمة في الأدب بما يكون في اللغة من علاقات.

ونلتمس الإيمان العميق للجرجاني بالذوق المصفى والذي هو الإحساس الضروري لإدراك الجمال ومعرفة أسبابه، وأن ذلك طبع موهوب لابد منه لمن يريد أن يميز بين النصوص جيدها ورديئها، وأن يفرق بين الحسن في صورة وأخرى.

ملحا على ضرورة وجود ذوق وإحساس وذكاء لإدراك الفروق ما بين العبارات، والتي تميزها عن المعاني، ويرى عبد القادر الجرجاني أن هذا الذوق الفطري لا يكتسب، ورأى أنه من لا يملك الذوق الموهوب لا جدوى من الحديث معه، يقول:" واعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة، وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بأنّ لا يومئ إليه من الحسن واللطف أصلا، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام، فيجد الأريحية تارة ويعرى منها أخرى، وحتى إذا عجبته عجب، وإذا نبهته لموضع المزية انتبه ...

فأما من كانت الحالان والوجهان عنده أبدا على سواه، وكان لا يتفقد من أمر النظم إلا الصحة المطلقة، وإلا إعرابا ظاهرا، فما أقل ما يجدي الكلام معه، فليكن من هذه صفته عندك، بمنزلة من عدم الإحساس بوزن الشعر والذوق الذي يقيمه به، والطبع الذي يميز

صحيحه من مقصوره، ومزاحفه من سالمه، وما خرج من البحر مما لا يخرج منه، في أوك لا تتصدى له، ولا تتكلف تعريفه لعلمك، أنه قد عم الأداة التي معها يعرف، والحاسة التي بها يجد ..."[1]

من خلال هذا القول يجعل الذوق والطبع هما الأداة لمعرفة جمال الجمال.

ويمتاز هذا المنهج بجملة من الخصائص التي تميزه عن غيره من المناهج والتي مجملها في النقط التالية:[2]

- إنه أقرب المناهج إلى طبيعة الأدب، وذلك إذا فهمت اللغة بمعناه الرحب الغزير، الذي لا ينفصل فيها اللفظ عن المعنى، ولا الصورة عن التعبير، والفكر عن الإحساس، ولا النحو عن المعاني والبلاغة.
- إن التوحيد بين اللغة والشعر، يلزمنا بالضرورة الارتباط بالنص، الذي أمامنا و إلتماس كل الخصائص،

التي نستخلصها ونستنبطها من العلاقات التي تنشأ بين الكلام بعضه ببعض.

- إن النقد اللغوي نقد منهجي وموضوعي، فليس الناقد في هذه الحالة مجرد مستمتع بالثأر الفني أو ناقل للإحساسات التي يشعر بها، وإنما هو ناقد يعطيك الأسباب المعقولة لاستمتاعك بما يحلل من عناصر.
- ارتباط المنهج اللغوي بالدراسة المستمرة لتطور اللغة وأساليبها وإمكانيتها وعلاقتها، بالصورة والخيال و المسبقة والوعي التام بقدرة الشاعر على خلق العالم اللغوي الخاص به ....[3]

وبهذا فإن هذا المؤلف الذي يرصد لنا جوانب نظرية النظم التي قد تم تطبيقها منهجا ومعيارا في الأدب، لما فيها من قيمة تكسب الكلام قيمة و فنية، كما تحدد جودة النص

[1] - عبد القادر الجرجاني ، **دلائل الإعجاز**، ص 291.
[2] - بو منصور كهينة، إيدير نجاة، **تطور نظرية النظم بين الجاحظ وعبد القادر الجرجاني**، رسالة لنيل شهادة الماستر، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، 2017م- 2018م، ص 95.
[3] - إحسان عباس، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر) من القرن الثاني حتى القرن الثامن هجري**، دار الشروق، عمان، الطبعة الثانية، 1993م، ص 426- 435.

الأدبي، ذلك لأنك النظم هو توخي معاني النحو، وهذا ضروري في إنتاج الكلام، ولعل هذا هو المحفز لتطبيق هذه النظرية في الأدب.

المطلب الثاني: مباحث النظم عند عبد القاهر الجرجاني.

يمثل كتاب **دلائل الإعجاز** دور الإكمال في ثقافة عبد القاهر الجرجاني، الذي قطع مراحل درس فيها علوم العربية والإعجاز والكلام؛ وتعمق الشعر العربي تأملت ومقارنة بما أداره النقاد قبله من أحاديث و خصائصه وقضاياه الفنية و المعنوية، فجاء عملا متميزا في بنائه الداخلي وهو كتاب مشهور و مطبوع و متداول لطيف الحجم و ممزوج به النحو بعلم البلاغة، عالج من خلاله المسائل النحوية و القضايا اللغوية و البلاغية و النقدية و القرآنية.

سعى عبد القاهر الجرجاني بإسهاب في دأبه الحثيث إلى إثبات نظرية النظم التي طالما نادى بها، و دافع عنها بكل ما أوتي مت استدلال عقلي و منطقي قائم على القياس و الاستنتاج.[1]

اطلع عبد القاهر الجرجاني على آراء سابقيه، ا–فسر فكرة الإعجاز تفسيرا يقوم على النظم، وقد ربط الإعجاز بالنظم أذ أطلقها عبد القاهر الجرجاني على موضوعات: التقديم والتأخير، و الحذف، و الفصل و الوصل، و التعليق، و الفروق في الخبر، و الفرق في الحال، ويعد الجرجاني أول عالم أخضع النحو لفكرة النظم.

يكتسب مؤلف دلائل الإعجاز مكانة عظيمة في تاريخ البلاغة العربية، و ما كان قبله لم يكن إلا أفكار متناثرة و عبارات متفرقة و معلومات متداخلة، بل ربما كان يتخللها شيء من الخطأ وقد أزاح عن البلاغة العربية ما كان يكتنفها من لبس و غموض، وبذل في ذلك جهودا جبارة حتى أستطاع ان يضع لنا أسس علم المعاني، وقد خطأ الإمام عبد القاهر الجرجاني خطوات عظيمة للنهوض بعلم البلاغة و النحو إلى الأمام، حتى وصل إلى مرحلة النضج و الاكتمال في شكله المرموق؛ لذلك نجده في كتابه الدلائل يقيم أسس البلاغة معالجا إياه معالجة أدبية صرفة، لم تخل من خصائص النقد و فضائل الذوق، و أقام نظريته العظيمة في النظم على أسس تركيب الكلام و تأليف النحو حيث ألبسها ثوبا

[1] - عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 17-18

جديدا لم يكن معروفا من قبل.[1] والنظم عند عبد القاهر الجرجاني هو: تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض.[2]؛ أو هو توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه فيما بين معاني الكلم، أي أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها.[3]

تتضح فكرة النظم عند عبد القاهر الجرجاني من تعليق الكلم بعضه ببعض مثل: تعليق اسم باسم، و اسم بفعل، و تعليق حرف بهما فتكون الأولى بسبب من الثانية، و الثانية سببا في الأولى، و الالتزام بأحكام و عدم الخروج عنها لأنها أساس الكلام، وتوخي و تتبع قواعد النحو ليكون سليما خالي من الأخطاء اللغوية، واللفظة المفردة لا قيمة لها في ذاتها، و لا في كرسها، و إنما تكون لها المزية حينما تنتظم مع جاراتها في جمل أو عبارات، و من ثم مزية أو فضل الألفاظ لا تتفاضل إلا إذا إندرجت معناه مع معاني الألفاظ التي تنتظم معها، أي أن يتلاءم في سلك التعبير، لتنظم بعضها إلى بعض و تأخذ مكانها الطبيعي الذي تقتضيه الصورة و تنسجم مع ما قبلها وما بعدها لأداء المعنى الذي يريده المتكلم، وقد حصر الإمام عبد القاهر الجرجاني مباحثه في النظم في أهمه كتبه خصوصا دلائل الإعجاز فيما يلي:

فصل القول في التقديم والتأخير؛ الحذف؛ الفرق في القول؛ الفرق في الحال؛ الفرق في الوصل و الفصل.

وقد عرف الكلم بانه: إسم و فعل وحرف جاء لمعنى، و قد عرفه سيبويه: و ليس باسم و لا فعل، و أتبعه خلف الأحمر قائلا: العربية ثلاث: إسم وفعل وحرف جاء لمعنى.[4]، وقد فصل ابن السيراج في تعريف الكلم فقال: الكلام يأتلف من ثلاثة أشياء: الاسم والفعل والحرف، فالاسم قد يتألف مع الاسم نحو: والله إلا هنا، اسم و فعل كقولنا: زيد في المنزل، و يأتلف الاسم و الفعل نحو: قائم عمرو، ولا يأتلف الفعل مع الفعل، والحرف لا

[1] - أحمد عاطف محمد كلاب، **منهج الإمام عبد القاهر الجرجاني في عرض المسائل النحوية دراسة تحليلية**، كلية الآداب في الجامعة الإسلامية، بغزة فلسطين، غير منشورة، رسالة ماجيستير، 2013م، ص 17-18.
[2] - عبد القادر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص52.
[3] - عبد القادر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 24.
[4] - خلف بن حيان الأحمر البصري، **مقدمة في النحو**، تحقيق: عز الدين الكلوخي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1961م، ص 35.

يأتلف مع الحرف.[1]،و كذلك يعرفه ابو جعفر النحاس فيقول: اعلم أن العربية على ثلاثة أقسام: إسم وفعل وحرف جاء لمعنى، فالاسم ما جاز أن يكون أو صلح فيه حرف من حروف الخفض، مثل: رجل و فرس و زيد و عمرو، و ما أشبه ذلك، و الفعل ما دل على المصدر و حسن فيه الجزم و التصرف مثل: قام؛ يقوم؛ و قعد؛ يقعد، و ما أشبه ذلك و الحرف ما دل على معنى في غيره و خلا من دليل الإسم و الفعل.

يتبين لنا من خلال هذه التعريفات أن الكلم اسم وفعل وحرف، يرى عبد القاهر الجرجاني أن لا نظم في الكلم و لا ترتيب حتى يعلق الكلم بعضها ببعض، و يبنى بعضها على بعض، و تجعل هذا بسبب من تلك.[2]

يتضح أن عبد القاهر الجرجاني يشير هنا إلى فكرة التعليق الذي ينتج عنه بناء واحد يجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها كان تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل، أو تتبع الاسم اسما على أن الآخر مفعولا له ، أو تعمد إلى اسمين فاجعل أحدهما خبرا يكون الثاني صفة للأول أو تأكيدا له أو بدلا منه أو حالا او تمييزا أو تتوخى في كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيا أو استفهاما او تمنيا فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك، أو تريد في فعلين ان تجعل أحدهما شرطا في الآخر لتجي بهما بعد الحرف، و تتضح فكرة النظم أكثر إذا اتخذ اللفظ المعنى في التركيب، و على هذا فإن الكلم يترتب في النطق بسبب ترتب معانيه كون الألفاظ تتبع المعاني في النظم، و أنما لو خلت من معانيها لفسد الكلام ولا اختل المعنى المراد تبليغه، فالألفاظ ليست مجرد حروف و أصوات تنطق لتحدث صدى، إنما تتضح و تتجدد مكانتها وفقا لما لها من معان تجددها و تؤطرها، فاللفظة المفردة مثلا لا تجد لها قيمة إلا إذا اتحدت و جاورت صاحبتها من المفردات الأخرى لتؤدي دلالتها كاملة، و التعليق طرق معلومة أحصاها الجرجاني فيما يلي:

تعلق اسم باسم؛ تعلق اسم بفعل؛ تعلق حرف بهما.

---

[1] أبو بكر السيراج، **الأصول في النحو**، تحقيق: عبد الحسين، مؤسسة الفتلى الرسالة، بيروت، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، 1996م، ص 36.

[2] - عبد القادر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 101.

فذكر عبد القاهر الجرجاني في هذا الاحتمالات الواردة في ذلك.

القسم الأول: تعلق اسم باسم.

القسم طرائق تعليق الاسم بغيره من الأسماء.

يتعلق بالاسم بأن يكون خبرا عنه، أو حالا منه، أو تابعا له، او صفة، أو تأكيدا أو عطف بيان، أو بدلا، او عطفا بحرف، أو بأن يكون الأول مضافا إلى الثاني، أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل، و يكون الثاني في حكم الفاعل له او المفعول، و ذلك في إسم الفاعل كقوله تعالى:" القرية الظالم أهلها."[1] ،و إسم المفعول كقولنا خرج زيد ضارب أبوه؛ أو زيد مضروب غلمانه، و الصفة المشابهة كقولنا: زيد حسن وجهه؛ وكريم أصله؛ و شديد ساعده، و المصدر كقولنا: عجبت من ضرب عمار، من هنا يتبين لنا أن الإمام عبد القاهر الجرجاني قد أحصى تعلق الأسماء بغيرها وذلك لأنه لا يمكن في أي حال من الأحوال أن يعمل الأول دون تأثير في عمل الثاني.

القسم الثاني: إسم بفعل.

أما تعلق الاسم بالفعل فقد ذكر الجرجاني بأنه يكون إما فاعلا له، أو مصدرا قد انتصب كقولك: ضربت ضربا، و يقال له المفعول المطلق أو مفعولا به كقولك: ضربت زيدا؛ أو ظرفا مفعولا فيه زمانا او مكانا كقولك: خرجت يوم الجمعة؛ أو مفعولا له كقولك: جئتك إكراما لك؛ أو مفعولا معه كقولك: جاء البرد؛ أو بأن يكون بذلك منزلا من الفعل منزلة المفعول ذلك في خبر كان و أخواتها و الحال و التمييز المنتصب عن تمام الكلم مثل: طاب زيد نفسا و حسن وجها وكرم أصلا ، و مثله الاسم المنتصب على الاستثناء كقولك: جاءني القوم إلا زيدا.

بعدما تطرق الجرجاني في القسم الأول إلى طريقة تعليق اسم باسم آخر أخذ القسم الثاني ليعرضه حول تعلق الاسم بالفعل وكيف يعمل الأول في الثاني و العكس صحيح؛ فإذا كان الأول فعلا سيكون الثاني فاعلا أو مفعولا فيه أو له أو معه بالضرورة و هكذا دواليها.

[1] - سورة النساء، الآية 75.

القسم الثالث: تعلق حرف بهما.

أما تعلق الحرف بهما فهو عنده على ثلاثة أضرب وهي:[1]

الضرب الاول: حروف الجر التي من شأنها أن تعدى الأفعال إلى ما لا تتعدى إليه بأنفسها من الأسماء كقولك: مررت فلا يصل إلى نحو: زيد و عمرو؛ فإذا قلنا: مررت بزيد أو على زيد، وجدته قد وصل بالياء أو على، و كذلك سبيل الواو الكائنة بمعنى مع في قولنا: لو تركت الناقة .

الضرب الثاني: وهو ما تعلق به الحرف بما يتعلق به في باب العطف وذلك أن يدخل الثاني في عمل العامل في الأول كقولنا: جاءني زيد و عمرو؛ و أريت زيدا وعمرو.

الضرب الثالث: تعلق بمجموع الجملة؛ كتعلق حرف النفي و الاستفهام و الشرط ما تتناوله بالتقيد، ويعد من شأن هذه المعاني ان تتناول و الجزاء بما لا يدخل عليه، و ذلك أن يسند إلى شيء و معنى هذا انك إذ قلت: ما خرج زيد؛ و ما زيد خارج، الواقع بها متناول الخروج على الإطلاق، بل الخروج واقعا من زيد و مسندا إليه، و إذ قلت: إن يأتني زيدا أكرمه ؛ لم تكن جعلت الإتيان شرطا بل الإتيان من زيد و كذا لم تجعل الإكرام على الإطلاق جزاء الإتيان بل الإكرام واقعا منك، ففي الضرب الأول ركز على الحروف يجعلها وظيفته الخاصة منها لكل ضرب أضرب وذلك ضمن عناصرها المكونة و الحروف هي المقوم الأساسي الذي يربط كيان الجملة لأنه يعد واسطة بين الفعل و ما يليه في سياق الجملة أو العبارات، و قد ركز على حروف الجر كقولنا: مررت زيدا و عمرو فترى بأنه لا يربط بينهما مجرد كلام، هذا التركيب متناسق الدلالة واضح العبارة يجعل حرف الباء و على؛ يزيد أو على يزيد، في هذا المضمار نجد الجرجاني يقر بإنما تضاف الأحرف إلى التراكيب لتؤدي دورها مثل: أريت زيدا و عمارا، كون أنهما مرتبطان بالركن الأول الذي هو داخل الجملة معنى؛ فزيد و عمرو باعتبارهما ركنا ثانيا أريت الاسمان زيد و عمرو ، و الفعل داخل الجملة فعل الرؤية، فكلا العنصرين المتمحورين يسندان بعضهما البعض فلكل منهما دوره الخاص به داخل الجملة، أما في الضرب الثالث فقد ربط

[1] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 54-55.

الجرجاني التعليق بمجموع الجملة، فهذه الجمل التي تناولناه في هذا الضرب توحي إلى ضرورة ذكرهما و البحث عن دورهما ووضيفتهما داخل سياق التراكيب، إذ لابد من مسند و مسند إليه و أنه لا يكون كلام من جزء واحد كقولك: كان زيدا أسدل، و كذلك إذ قلت لو و لوما و جدتهما يقتضيان جملتين تكون الثانية جواب الأولى، فهذه هي طرق تعلق الكلم بعضها ببعض، و هي كما تراها معاني النحو و أحكامه فالكلم أربع، يتكون من ثلاثة أقسام و هي: إسم و فعل وحرف .

التقديم و التأخير:

التقديم و التأخير من أهم الموضوعات التي تناولها النحويين وقد أشاروا إليه أكثر من مرة من بينهم: سيبويه و الخليل ... لكن على الرغم من تناولهم لهذا الموضوع، إلا أن معالمه لم تتضح إلا على يد الجرجاني فقد نبه إلى أهميته قائلا: هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يغترك عن بديعه و يقضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه و يلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن قد قدم فيه شيء و حول اللفظ عن مكان إلى مكان عندك.[1]،عالج الجرجاني موضوع التقديم و التأخير و أمور أخرى لم يتسع لنا المجال لرصدها نذكر منها: الاستفهام بالهمزة و ذكر فيها أنواع الاستفهام مع الأفعال:

اولا: الفعل الماضي: تقديم الفعل الماضي، تقديم الاسم.

ثانيا: الفعل المضارع: تقديم الفعل المضارع أو الفاعل، تقديم المفعول به.

التقديم والتأخير في النفي:

أولا: تقديم الفعل أو الفاعل في النفي.

ثانيا: تقديم المفعول و تأخيره على الفعل في النفي.

ثالثا: تقديم الجار و المجرور في النفي، التقديم و التأخير في الخبر المثبت.

النكرة في التقديم والتأخير:

[1] - عبد القادر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 143.

اولا: تقديم النكرة على الفعل في الاستفهام.

ثانيا: تقديم النكرة في الخبر.

وبهذا يتأتى لنا أن الجرجاني قد أولى عناية بالغة للتقديم و التأخير، من هنا يتبين لنا أن مبحث علم المعاني الذي يندرج تحته معرفة قواعد تقديم عنصر على عنصر آخر و التقديم عند الجرجاني على وجهين هما:[1]

تقديم على نية التأخير: وذلك أن يظل المقدم على حكمه النحوي مثال ذلك أمران هما: تقديم الخبر على المبتدأ كقولك: منطلق زيد فيظل منطلق خبرا مرفوعا.

أولا: الخبر يبقى على صورته الأولى حتى و إن قدم.

ثانيا: تقديم المفعول على الفاعل نحو: ضرب زيد عبد الله، و ليس بالأخرى يكون التقديم و التأخير على قدر العناية و الاهتمام؛ يتقدم الخبر على المبتدأ في حالات، و ذلك بهدف تحقيق غاية معينة فمثلا عندما نقول: ضرب عيسى موسى، لا تعرف من هو الفاعل ومن هو المفعول، لكن السياق هو الذي يحدد موقعهما و التقديم و التأخير يكون عندما نريد التركيز على عنصر معين داخل الجملة فتقوم بتقديمه و العناية و الاهتمام تختلف و فيه ينتقل حكم المقدم إلى غير حكمه.

تقديم على نية التأخير:

سنورد مثالين في هذا الصدد.[2]

أولا: ذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل منهما أن يكون مبتدأ، الآخر خبرا له فتقدم تارة هذا على ذلك، و أخرى ذلك على هذا و ذلك أن تقول: زيد المنطلق على أن يكون زيدا المبتدأ و تقول: المنطلق زيد، على أن يكون المنطلق مبتدأ و تقديم زيد في حين أن تأخره في المثال الثاني غير إعرابه إلى خبر، و في المقابل الأول جعله مبتدأ، ضربته هذا التقديم في باب الاشتغال مثل: ضربت زيدا.

[1] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 143-144.
[2] - عبد القادر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 143-144.

ثانيا: زيد ينقل إعرابه من مفعول به في الجملة الأولى، إلى مبتدأ في الجملة الثانية حيث يشتغل الفعل بضمير و تكون الجملة الفعلية في موضع خبر للمبتدأ، لقد أظهر الإمام عبد القاهر الجرجاني موضوع التقديم و التأخير بمظهر رائع فجعله بابا عظيما له من جلال العلم، مبرزا فيه الأحكام النحوية التي استقلت بقوام نحوية و بلاغية، و بعدما تحدث عن معنى التقديم و التأخير و بين وجوهه والمسائل النحوية التي يتخللها في تركيب الكلام هادفة في ذلك إلى طريقة النظم، و ما يحتويه من معان ان تزيد الكلام جمالا و بهاء باحثا في كل وجه، فالجانب اللفظي و الإعرابي للتركيب قبل النظر في المعنى و مقتضياته فيرى في التركيب ما يعكس بالضرورة التركيب و معناه، فنرى الجرجاني يربط ربطا عضويا بين المعنى المراد بحيث لا يعبر عن معنى ما إلا بتركيب مخصوص لأنك لو غيرت فيه الترتيب لأختل المعنى المراد، و فسدت العلاقة بين طرفي التركيب.[1]

الحذف:

الحذف سمة لغوية لجأ إليها العرب في كلامهم يكشف عن القيمة الجمالية حيث وجدناه، و الإمام عبد القاهر الجرجاني واحد منهم إذ جعل له بابا لينبه على أهميته كونه يرى أنه بمثابة المفصل في تحديد المعنى فيقول: المسلك لطيف المأخذ؛ عجيب الأمر؛ شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، و الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، و تجدك أنطق ما تكون إذ لم تنطق، و انم ما تكون بيانا إذا لم يتبين.[2]، فهو باب دقيق و لطيف، و للحذف سمة أساسية و مهمة لدى الجرجاني، إذ نجده في النصوص الأدبية شعرا أم نثرا يحذف بيت أو شطر منه سعيا منه و رغبة في المبالغة، ففي الشعر مثلا؛ حذف لغرض تحقيق هدف ما مثل تخفيف الكلام أيضا و في الأدب و يحدث المعنى المراد، و من أهم مواضع الحذف التي أوردها نذكر منها ما يلي:

حذف المبتدأ: في قوله: ومن مواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ؛ القطع و الاستئناف إذ يبدأون بذكر الرجل، و يقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول، و يستأنفون و إذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ، ويتبين مما سبق أن الجرجاني قد ذكر

[1] - أحمد عاطف محمد كلاب، **منهج الإمام عبد القاهر الجرجاني في عرض المسائل النحوية دراسة تحليلية**، ص 32-33.
[2] - عبد القادر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 170.

لنا المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ، كالقطع و الاستئناف، ومن المواضع الأخرى التي يطرد فيها الحذف عند الجرجاني.

حذف المفعول به: يعرض عبد القاهر الجرجاني للسياق الذي يريد فيه حذف المفعول به، و يتبين لنا ارتباط الفعل بما يليه و يربطها بحاجة المتكلم، و بطبيعة التركيب، و صلة اللفظة بغيرها، و ذلك أن تمثل علاقات أساسية من فعل و فاعل و مفعول، و كما أنك إذ قلت الذي يتعدى إليه حاله مع الفاعل، لحال الفعل مع المفعول مثل: ضرب زيد؛ فأسندت الفعل إلى الفاعل كان عرضك من ذلك أن تثبت فعل الضرب لمن كان كذلك إذ عديت الفعل إلى مفعول فقلت: ضرب، تفيد وجود الضرب في نفسه وعلى الإطلاق، و عرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثاني و وقوعه عليه ، و كان الفعل فيهما إنما كان من أجل أن يعلم التباس المعنى.

إجتمع الفاعل و المفعول الذي اشتق منه بهما، فعمل الرفع ليعلم التباس الضرب به من جهة وقوعه منه، و النصب في المفعول ليعلم التباسه من جبهة وقوعه عليه، ولم يكن ذلك ليعلم وقوع الضرب، إذ أراد الإخبار بوقوع الضرب ووجوده في الجملة من غير أن ينسب إلى فاعل بل في نفسه وجد ضرب أو وقع، أو يعرض لبيان ذلك فالعبارة فيه أن يقال: كان ضرب وما شاكل ذلك من الألفاظ تفيد الوجود في الشيء.[1]، كما كان للإسناد نصيب من العناية الجرجانية.

إن الإسناد أساسي و ضروري في الجملة فضلا عن إسناد الفعل إلى الفاعل فيه يتبين من قام بالفعل الوارد مثل: ضرب زيد عمار، من وقع عليه الفعل في الجملة و عند إسناد الفعل إلى المفعول به يتضح، فضرب هو الفعل و زيد هو فاعل مسبب ذلك الفعل، الذي هو فعل الضرب، وعمار بإعتباره ركنا ثالثا في الجملة وهو الذي وقع عليه فعل الضرب من طرف زيد، فالجملة الاسنادية تبين و توضح لنا وظيفة كل عنصر داخل الجملة لتبين المعنى المراد والمقصود منه وهو نوع آخر من أنواع الحذف.

[1] - عبد القادر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 176-177.

الإضمار على شريطة التفسير: يرى فيه الإمام عبد القاهر الجرجاني، سر جمال المعنى و روعته و مدى تأثيره في ذهن السامع و ارتياح النفس ليجعل له بابا، و في هذا يقول: أكرمني و أكرمت عبد الله، أردت أكرمني عبد الله و أكرمت عبد الله ثم ذكره في الأول استغناء بذكره في الثاني، فهذا طريق معروف و مذهب ظاهر، و شيء لا يعبأ به زيد و يظن أنه ليس فيه أكثر مما تريك الأمثلة المذكورة منه، و فيه إذا أنت طلبت الشيء من معدنه من دقيق الصنعة ومن جليل الفائدة ما لا تجده إلا في كلام الفحول.[1]

هكذا توصل الجرجاني في مسائل الحذف إلى نتائج قيمة قد أينعت ثمارها و بان فضل جهوده في استنباط دقائق الحذف، و الحذف إنما جاء لأسرار فنية تناسب تراكيب الكلام فقد و صفه الجرجاني بأنه شبيه بالسحر لا تصفه بالاختصار و الإيجاز لغرض تخفيف الكلام، و ما استظهاره لهذه الأمثلة الغزيرة إلا سبيل للكشف عن وجوه إعجاز القرآن الكريم، من خلال المبتدأ أو المفعول به أما الحذف بأنواعه المتعددة؛ الإضمار؛ الفروق؛ التقديم و التأخير بين الكلمات داخل الجملة، بعد أن انتهى إلى الحديث عن تركيب الجمل فيما بينها، و هو العملية التالية أثناء إنشائها انتقل إلى الحذف بينها وهذا ما سنتطرق إليه في الفروق و الوصل و الفصل .

الفرق في الخبر: فمن ذلك أن سيبويه أطلق عليه مصطلح المسند أو المبني عليه.[2]،أما المبرد فقد ذكر نوعين للخبر بقوله: و أعلم أن خبر المبتدأ لا يكون إلا اخوك وزيد قائم[3]،فالخير هو الابتداء في المعنى، أو يكون الخبر غير الأول فيكون له فيه ذكر فإن لم يكن على أحد هذين الوجهين فهو مجال وبيان ذلك: زيد يذهب غلامه؛ و زيد أبوه قائم، و زيد قام عمرو إليه، وقد وضع الجرجاني لهذا المبحث عنوانا هو الفروق في الخبر، و كان يقصد بذلك الخبر بشكل عام سواء كانت الجملة إنشائية أم خبرية، و لذا يقسم الخبر عموما إلى نوعين هما:

---

[1] - عبد القادر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 183.
[2] - سيبويه، **الكتاب**، ص 21.
[3] - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، **المقتضب** ، محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، الجزء الرابع، الطبعة الثانية، 1974م، ص 127.

خبر في الجملة الإسمية: الذي يكون جزءا من الجملة مثل: زيد منطلق المنطلق و قع خبرا المبتدأ زيد، ففي الجملة الإسمية نريد أن نخبر عن شخص ما مثلا بأنه كذا، و الفعل في الجملة الفعلية هو الأصل في الخبر او في الفائدة مثل: خرج زيد إخبار بخروج زيد أي أنه خارج فالمسند و المسند إليه في الجملة الفعلية هما الأصل، ففي هذه الجملة كان تركيزنا موجها نحو فعل الخروج، ففي الجملة الفعلية نريد الإخبار عن ذلك الشخص بأنه يفعل كذا.[1]

القسم الثاني: أدرج فيه كل أنماط الجمل الأخرى الخبرية و الإنشائية، و شبه الجمل أيضا، وهو الخبر الذي لا يكون جزءا من الجملة و لكنه زيادة في خبر آخر سابق عليه يأتي الحال ليوضحه ففي قولنا: جاء زيد راكبا نخبر عن المجيء لزيد و لكننا نخبر عنه راكبا أي أنه لدينا ركنان في هذه الجملة، الأول: هو الخبر و هو الجزء الأساسي من الجملة، و الثاني هو خبر ثاني ليس جزءا من الجملة و لكنه مكمل له.

الفروق في الحال: يركز الجرجاني على الحال في الجملة، حيث بين أنها تأتي مرة بالوار و أخرى بغيرها، فمثال مجيئها مع الواو أتاني وعليه ثوب ديباج، و أريته و هو متقلد سيفه ومثال ذلك: لقيت الأمير و الجند حواليه.، و بغير الواو جاءني زيد يسعى غلامه بين يديه، و أتاني عمرو يقود فرسه، و في تمييز ما يقتضي الواو مما لا يقتضيه صعوبة.[2]، أي أنه يصعب علينا التمييز بين الحال الذي يأتي بواو و بين الحال الذي يأتي بغير واو.

الفصل و الوصل: و هذا هو الركن الثاني الذي يتعلق بالجملة، و هو الركن الأخير في نظرية النظم و في عملية إنشاء الكلام فبعد أن يكمل المؤلف اختيار الجمل وضعها في موضعها ينبغي أن يفكر في علاقتهما فيما بينهما، فيما إذا كانت متساوية أو متوازنة، و فيما إذا كانت متشابهة أو متناقضة أو مختلفة، فيجري عمليتي الفصل و الوصل على هذه الأسس، و هكذا يكون الانتقال مرحلية من التقديم و التأخير داخل الجملة الواحدة لكي تنتج الفكرة السليمة، و يتم بعدها الحذف ومن ثم الانتقال نحو الفروق لتكون بنيتها صحيحة داخل الجملة الواحدة أيضا، و اخيرا نحو الوصل و الفصل لربط الجملة فيما

[1] - عبد القادر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 191.
[2] - عبد القادر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 215.

بينها.[1]،لقد إهتم الجرجاني اهتماما غير مسبوق بالفصل و الوصل فكشف عنه اللثام مبينا معناه الحقيقي، جاهلا الفصل و الوصل علما على البلاغة و أمارة على جودة الكلام و سرا من أسرارها، و الجرجاني لا يبحث هنا عن الفصل و الوصل في الجمل بل يعود به نحو الكلمات لكي يسهل عملية التحليل، و علاقات الفصل و الوصل بين الجمل هو أمر خارج عن الجمل النحوية على الأغلب و يتعلق بما ينبغي أن يكون للكاتب فقط، و لذا عزز دراسته بالحديث عن الفصل و الوصل، أن ما ينطبق عليها ينطبق على الجمل في مرحلة ثانية فيقول: اعلن ان سبيلنا أن ينظر إلى فائدة العطف في المفردة ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها و نتعرف حالها، و لذا فقد استجلب الحديث عن المفردات فقط ليستنتج منها ما يلاءم العطف الواقع في إعرابه فقد أشركته في حكم ذلك الإعراب نحو أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله، و المعطوف على المنصوب بأنه مفعول به، أو فيه، أو له شريك في ذلك.[2]، بمعنى أنه في حالة المفرد نجد أن المعطوف يتبع المعطوف عليه في جميع الحالات.

يتضح مما سبق أن فكرة الفصل و الوصل بين الجمل، و التي إهتم بها الإمام عبد القاهر الجرجاني لأنها تعتمد على أسلوب نحوي معروف بالعطف، و الفكرة النحوية في أساسها الجرجاني هي مواضع الفصل و الوصل بدون شك، و يمكن تسجيل الملاحظات التالية عن الفصل و الوصل عند الجرجاني.[3]

الوصل هو عطف الجمل بعضها على بعض؛ من خصائص اللغة فيها المجيء بها مقطوعة و إدراك أبعادها المتكاملة؛ الفصل هو ترك العطف؛ معرفة الفصل و الوصل تحتاج إلى تمعن و مزيد من النظر.

استنادا إلى ما سبق يتضح لنا أن منهجه يبين مدى أهميتها في النحو و البلاغة، بتجاوزه مسألة الطلاقة اللغوية، أو الحكم بالصحة و الفساد على التراكيب اللغوية بالتحديد، فهذه المباحث هي التي تبين القيمة الفنية لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، مع

[1] - بيان شاكر

[2] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 132-133.

[3] - أحمد عاطف محمد كلاب، **منهج الإمام عبد القاهر الجرجاني في عرض المسائل النحوية دراسة تحليلية**،ص 93- 94.

وجود مباحث أخرى لأنها الأساسية في علم المعاني المرتبطة بنظرية النظم، البلاغة كعلم البيان و البديع وقد تناولها الجرجاني، لتأبين لنا الأهمية العظمى لنظرية النظم ضمن المباحث المندرجة ضمن علم المعاني.

المطلب الثالث: الدراسات الحديثة ونظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني.

كم هي كثيرة تلك الدراسات التي تناولت عبد القاهر الجرجاني ونظريته في النظم، وكم حملت هذه الدراسات آراء متباينة مرة ومتفقة مرات متعددة، وكم تضاربت الأفكار حول فكرة النظم منذ أن تنبه الشيخ محمد عبده لكل من كتاب: "دلائل الإعجاز" وأسرار البلاغة" وأخذ منهما دروسا في رحاب جامع الأزهر، واعتبراهما أولى بالدراسة من المتون وشروحها وحواشيها، لما اتسما به من دراسة عميقة للنصوص الأدبية، تقرب القارئ من تذوق البلاغة بأسلوب سهل وبسيط و لا صلة لهما بالجدل العقيم الذي لا نتيجة له، وكان من أثر تدريسهما أن خرجا مطبوعين مصححين إلى الوجود..

وتناول الدكتور طه حسين عبد القاهر الجرجاني بالبحث في تمهيد كتاب " نقد النثر" لقدامة بن جعفر تحت عنوان:" البيان العربي"، وهو يرى أنه تم على يده التوفيق بين البيانين: العربي واليوناني بل أقر في نهاية بحثه أن من يقرأ "دلائل الإعجاز" لا يسعه" إلا أن يعترف بما أنفق عبد القاهر من جهد صادق خصب، في التأليف بين قواعد النحو العربي وبين آراء أرسطو العامة في الجملة والأسلوب والفصول، وقد وفق عبد القاهر فيما حاول توفيقا يدعو إلى الإعجاب. وإذا كان الجاحظ هو واضع أساس البيان العربي حقا فعبد القاهر هو الذي رفع[1] قواعده وأحكم بناءه.

ودرس الدكتور محمد مندور الجرجاني ونظريته في كتاب" النقد المنهجي عند العرب" وفي مؤلفه " الميزان الجديد" وهو أول من لفت الانتباه إلى الأسس اللغوية لمنهج الجرجاني قائلا:" وفي الحق إن عبد القاهر قد اهتدى في العلوم اللغوية كلها إلى مذهب لا يمكن أن نبالغ في أهميته، مذهب يشهد لصاحبه بعبقرية لغوية منقطعة النظير، وعلى أساس هذا المذهب كون مبادئه في إدراك دلائل الإعجاز في القرآن، وفي النثر العربي و الشعر العربي على السوء.

مذهب عبد القاهر هو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه، هو مذهب العالم السويسري الثبت فردنا ند دي سوسير الذي توفي سنة 1913 م، ونحن

[1]-قدامة بن جعفر، **نقد النثر** المكتبة العلمية، بيروت، ص 30.

لا يهمنا الآن من هذا المذهب الخطير إلا طريقة استخدامه كأس لمنهج لغوي "فيولوجي" في نقد النصوص، لقد فطن عبد القاهر إلى أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ، بل مجموعة من العلاقات système de rapportsفقال: "اعلم أن هناك أصلا أنت ترى الناس فيه في صورة من يعرف من جانب وينكر من آخر، وهو أن الألفاظ المفردة التي من أوضاع اللغة، لم توضع لتصرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيصرف فيما بينها فوائد، وهذا علم شريف وأصل عظيم، والدليل على ذلك أنا إن زعمنا أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة إنما وضعت ليعرف بها معانيها في أنفسها، لأدى ذلك إلى ما لا يشك عاقل في استحالته، وهو أن يكونوا قد وضعوا للأجناس الأسماء التي وضعوها لها لتعرفها بها، حتى كأنهم لو لم يكونوا قالوا "فعل" ويفعل" لما كنا نعرف الخبر في نفسه ومن أصله، ولو لم يكونوا قد قالوا "افعل" لما كنا نعرف الأمر من أصله ولا نجده في نفوسنا، وحتى لو لم يكونوا قد وصفوا الحروف لكنا نجهل معانيها، فلا نعقل نفيا ولا نهيا ولا استفهاما و لا استثناء، كيف و المواضعة لا تكون تماشي ما وصل إليه علم اللسان الحديث من آراء، ونقطة البدء نجدها في آخر ولا تتصور إلا على معلوم، فمحال أن يوضع اسم أو غير اسم لغير معلوم، ولأن المواضعة كالإشارة، لم تكن هذه الإشارة لتعرف السامع المشار إليه في نفسه، ولكن ليعلم أنه المقصود من بين سائر الأشياء التي تراها..

و في هذا نحد فلسفة عبد القاهر اللغوية العميقة، وعن هذه الفلسفة صدرت كل آرائه في نقد النصوص.

وكتب الدكتور مصطفى ناصف عن النظم في كتاب " دلائل الإعجاز" في مؤلفه "نظرية المعنى في النقد العربي " وهو يرى أن فكرة النظم في كتاب "الدلائل" ذات بذور في تفكير السلف، ويشير إلى أن عبد القاهر سبق إلى أن إعجاز القرآن لنظمه من قبل الجاحظ والواسطي والخطابي والرماني. ويتناول مذهب الصرفة وموقف عبد القاهر الرافض له بقوله:" وقد رفض عبد القاهر مفهوم الصرفة، ولم يجد فيه ما يدعو إلى طول الجدال"[1]... ويأخذ على عبد القاهر أنه لم يعن بنصوص القرآن مبينا مدى تفوق القرآن

[1]- مصطفى ناصف، **نظرية المعنى في النقد العربي**، دار الأندلس، ص 29

على غيره من النصوص وذلك بقوله:" و الواقع أن صاحبنا لم يحاول البتة أن يبين مدى تفوق العبارة القرآنية على غيرها من العبارات، ولو سألت أين دلائل الإعجاز في كتاب عبد القاهر لما كنت مسرفا إن جهد عبد القاهر في تبين ملامح العبارة القرآنية لا يكاد يذكر بخير ذلك أن الكتاب أقرب في مجمله إلى حديث ما في اللغة " ويختم الحديث عن نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني بقوله " لسنا نريد أن نقصر من عمل عبد القاهر، ولكن الفرق بين اللغة وفلسفتها والاستيطان اللغوية لم يكن متماسكا في عقل عبد القاهر فضلا على من هم دون.[1]

وعقد الدكتور بدوي طبانة فصلا تحت عنوان " بلاغة عبد القاهر في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة" في كتابه " البيان العربي" بدأه بالموازنة بين اتجاه عبد القاهر ومعاصره ابن سنان الخفاجي صاحب " سر الفصاحة" وتحدث عن المعاني و البيان في كتابي عبد القاهر وختم بحديث مطول عن فكرة النظم.." و الواقع أن هذه الفكرة لم يكن عبد القاهر مخترعا لها، وإن كان هو الذي بسط فيها القول، وأقام على أساسها فلسفة كتابه فقد سبقه إليها أبو عبد الله محمد بن زيد الو اسطي المتكلم (ت 307 هـ) الذي ألف كتابا سماه " إعجاز القرآن في نظمه".

وظهرت هذه الفكرة واضحة في الصراع الذي أثاره امتزاج الثقافات، وتعصب حملة اليونانية لفلسفة اليونان ومنطقهم، ودفاع حملة العربية عن تراثهم وثقافتهم ، ومنها الثقافة النحوية.

ومن مظاهر هذا الصراع تلك المناظرة الحادة التي قامت بين الحسن بن عبد الله المرزباني المعروف بأبي سعيد السيرافي وبين أبي بشر متى بن يونس في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات

ويقول في موضع أخر" وإذا كان عبد القاهر يدين بفكرة النظم، ولا يعترف بجزئياته، فإن له لفتة موفقة إلى ما يبنى على تلك الفكرة من أصول النقد الواع[2]. وعقد بعد ذلك

[1]-.مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، ص، 30-31
[2]-بدوي طبانة، البيان العربي، الطبعة الخامسة، دار العودة، بيروت، ص 165-166

فصلا للفظ والمعنى عند عبد القاهر وحدد فصلا لبلاغة التقديم والتأخير " ويرتب عبد القاهر على هذا أن المزايا في النظم إنما تكون بحسب المعاني والأغراض.

ويتناول الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه " النقد الأدبي الحديث "قضية اللفظ والمعنى عند عبد القاهر ويؤكد في النهاية قائلا:" ونعتقد أن عبد القاهر لم يقر من رجحوا المعنى على اللفظ، على نحو ما شرحنا من آرائهم فيما سبق، بل كان من أنصار الصياغة من حيث دلالة هذه الصياغة على جلاء الصورة الأدبية"[1]ثم يتحدث عن النظم عند عبد القاهر ويرى أنه " قام في هذا الباب بجهد عظيم الخطر، فهو يقصد بالنظم ما يطلق عليه علم التركيب، ويتطرق بعد ذلك إلى التقويم الجمالي وصلته بالمضمون عند عبد القاهر الجرجاني موضحا فضل وعبقرية الجرجاني العربية انتهت بميلاد نظرية عربية متكاملة.

وألف الدكتور أحمد بدوي كتابا عن " عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية" تحدث فيه عن حياة عبد القاهر وآثاره وشعره وفصل القول في نظرية النظم[2] ثم تحدث عن إعجاز القرآن قبل عبد القاهر، وختم بمحور حول عبد القاهر بين معاصريه.

وتناول الدكتور شوقي ضيف عبد القاهر الجرجاني في كتابه " البلاغة تطور وتاريخ" فخصص فصلا لوضع عبد القاهر لنظرية المعاني و آخر لوضعه لنظرية البيان. وقال معلقا:" ولعبد القاهر مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة، إذ استطاع أن يضع نظريتي علم المعاني و البيان وضعا دقيقا، أما النظرية الأولى فخص بعرضها وتفصيلها كتابه " دلائل الإعجاز " وأما النظرية الثانية فخص بها وبمباحثها كتاب " أسرار البلاغة[3]"

وعقد الدكتور إحسان عباس فصلا في كتابه "" تاريخ النقد الأدبي عند العرب" تحدث فيه عن الانطلاق من فكرة الإعجاز إلى إقرار قواعد النقد و البلاغة ثم بحث في قضية اللفظ و المعنى تحت ضوء نظرية النظم الجر جانية، وانتهى إلى أن عبد القاهر ألف كتاب" دلائل الإعجاز " أولا ثم بعده كتاب " أسرار البلاغة "فاسمعه يقول:"...ومن مرحلة

[1]-محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت، ص268
[2]-.أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني، سلسلة أعلام العرب، ص101
[3]-شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، الطبعة الثامنة، ص 160.،

المعنى يتكون " علم المعاني " ومن مرحلة " معنى المعنى " يجيء "علم البيان "، ولهذا نستطيع أن نقول إن عبد القاهر بعد أن انتهى من كتابه دلائل الإعجاز الذي تحدث فيه حول المعنى، حاول "أن [1]يخصص كتابا لدراسة معنى المعنى فكان من ذلك كتابه " أسرار البلاغة.

و تحدث سيد قطب عن نظرية النظم في كتابه " النقد الأدبي أصوله و مناهجه فقال:" لقد حاول أن يضع قواعد فنية للبلاغة و الجمال الفني في كتابه " دلائل الإعجاز" كما حاول أن يضع قواعد نفسية للبلاغة في كتابه "أسرار البلاغة "وقد تأثر بالفلسفة الإغريقية وبالمنطق بل ذهب أبعد من ذلك فأقر أن عبد القاهر " أول من قرر نظرية في تاريخ النقد العربي ويصح أن نسميها نظرية النظم و انتقد سيد قطب إهمال عبد القاهر لدراسة الجانب الصوتي للألفاظ وفي ذلك يقول:" ومع أننا نختلف مع عبد القاهر في كثير مما تحويه نظريته هذه بسبب إغفاله التام لقيمة اللفظ الصوتية مفردا ومجتمعا مع غيره، وهو ما عبرنا عنه بالإيقاع الموسيقي، كما يغفل الظلال الخيالية في أحيان كثيرة، ولها عندنا قيمة كبرى في العمل الفني... مع هذا فإننا نعجب باستطاعته أن يقرر نظرية هامة كهذه – عليها الطابع العلمي – دون أن يخل بنفاذ حسه الفني في كثير مواضيع الكتاب[2]

ومن من أخذ عليه إهماله دراسة الجانب الصوتي أيضا د. محمد زكي العشماوي في كتابه " قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث قائلا: " ولكن الذي نؤاخذ عليه عبد القاهر أنه في بحثه هذا الطويل، والذي يرتبط ارتباطا وثيقا باللغة ومكوناتها الشعورية و المعنوية لم يفسح المجال لدراسة الجانب الصوتي في اللغة ودلالاته على المعنى بشكل إيجابي، فليس من شك في أن جانبا هاما من التجربة في الشعر مصدره الصوت و النغم" بل ذهب أبعد من ذلك حين أكد أنه " لا ينبغي أن نكتفي في منهج لغوي كهذا بالإشارة إلى هذا الجانب مجرد إشارة، بل إن الموقف كان يحتم على عبد القاهر أن يكثف علاقة الأصوات باللغة ووظيفتها في أداء المعنى و على الأخص أنه متهم لفرط حماسته وغيرته على تأكيد الوحدة بين اللفظ والمعنى، بإغفاله جانب اللفظ وإنكاره لقيمته من حيث هو

[1]- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 429
[2]- سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، 1983م،ص 126

صوت مسموع، ومع إيماننا بأن اللفظ المفرد لا يكتسب قيمته الصوتية أو الشعورية إلا إذا جاء في شكل سياق، إلا أننا لا نذهب إلى إنكار قيمته الصوتية في الشعر جملة، كما أننا لا ينبغي أن نكتفي بمجرد الإشارة إلى أن الصوت جزء من المعنى بل ينبغي أن نحدد طبيعة العلاقات الإيجابية بين الأصوات ومعانيها.[1] "

وتطرق الدكتور تمام حسان في كتابه" اللغة العربية معناها ومبناها "إلى نظرية النظم فقال:" ولقد كانت مبادرة العلامة عبد القاهر رحمه الله بدراسة النظم وما يتصل به من بناء وترتيب وتعليق من أكبر الجهود التي بذلتها الثقافة العربية قيمة في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السياق أو التركيب، ومع قطع النظر من رأي .

الشخصي في قيمة البلاغة العربية بعامة من حيث كونها منهجا من مناهج النقد الأدبي وعن صلاحيتها أو عدم صلاحيتها في هذا المجال أجدني مدفوعا إلى المبادرة بتأكيد أن دراسة عبد القاهر للنظم وما يتصل به تقف بكبرياء كتفا إلى كتف مع أحدث النظريات اللغوية في الغرب وتفوق معظمها في مجال فهم طرق التركيب اللغوي هذا مع الفارق الزمني الواسع الذي كان ينبغي أن يكون ميزة للجهود المحدثة على جهد عبد القاهر.[2] "

وأفرد الدكتور أحمد مطلوب لعبد القاهر الجرجاني كتابا عنونه" عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده" خصص الفصل الأول منه للتعريف بعبد القاهر و نشاطه الثقافي وإنتاجاته فعرف بمحتواها وذكر المصادر القديمة التي أشارت إليها أو اعتمدتها، أما الفصل الثاني فقد خصه لنظرية النظم، أما باقي الفصول فقد كانت ذات صبغة بلاغية وأدبية ترتبط بنظرية النظم، ويختم أحمد مطلوب بقوله:" لقد تحدث عبد القاهر في كتابه " دلائل .

الإعجاز " وأسرار البلاغة" عن كثير من اللفظ و المعنى و التصوير الأدبي و السرقات و الذوق و التأثير النفسي، وربطها بنظرية النظم التي أطال الكلام عليها، وهدفه من ذلك الوصول إلى معرفة الإعجاز وقد وفق فيما سعى إليه ونفع الدراسات الأدبية

[1] - محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة المصرية، بيروت، 1984م، ص 305

[2]-محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث، ص 305

بنظريته وآرائه التي بناها عليها، وبذلك كان أعظم ناقد شهده النقد العربي القديم لأنه التزم بفكرة واضحة وسعى إلى هدف محدد.[1]

ويرى الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتاب " إحياء النحو " أن عبد القاهر الجرجاني أعطى تصورا جديدا للبحث النحوي في كتاب "دلائل الإعجاز" فلم يهتم بأواخر الكلام وعلامات الإعراب، بل بين أن للكلام نظما " وأن رعاية هذا النظم وإتباع قوانينه هي السبيل إلى الإبانة والإفهام، وأنه إذا عدل بالكلام عن سنن هذا النظم لم يكن مفهما معناه، ولا دال على ما يراد منه وانتهى الأستاذ إبراهيم مصطفى إلى أن الذي شغل الناس عن نظم عبد القاهر أمران هما:

أولا: الحالة التي كان عليها العلم والعلماء في القرن الخامس الهجري حيث كانت العقول قد اكتفت باجترار وتقليد الأفكار المسبقة و الحلول الجاهزة فلم تقبل أي إبداع أو تجدي.

ثانيا: المذهب الذوقي الذي ركز عليه عبد القاهر لسبر أغوار اللغة ومعرفة مكوناتها" فقد تنبه الحس اللغوي لرنة الأساليب، وضبط خصائصها في زمن غلبت العجمة بغلبة الأعاجم، ووقف العلماء من علم العربية عند ظاهر اللفظ "لا يبلغ بهم الحس اللغوي أن يتذوقوا ما ذاق عبد القاهر، ولا أن يدركوا ما أدرك

و عليه يؤكد الأستاذ إبراهيم مصطفى" أنه قد آن لمذهب عبد القاهر أن يحيا، وأن يكون هو سبيل البحث النحوي.[2]

وصنف الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي كتابا عن " عبد القاهر والبلاغة العربية"، بدأه بترجمة وافية من أمهات مصادر التراجم "كبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للشيخ جلال الدين السيوطي، وفوات الوفيات لمحمد بن أحمد الكتبي، وعقد الأستاذ بعد ذلك فصلا لعبد القاهر و الكتاب المحدثين اكتفى فيه بتلخيص كل ما قيل عن عبد القاهر الجرجاني دون أن يبدي رأيه.

[1]-تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ص 18-19.
[2]-إبراهيم مصطفى، **إحياء النحو**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1938م، ص 19.

وعرض المؤلف بعد ذلك فصلا عن عبد القاهر وأثره في وضع البيان العربي، ثم انتقل للحديث عن موضوع كتاب " دلائل الإعجاز" و كتاب أسرار البلاغة و خلص إلى أن عبد القاهر "قد أساء عرض أفكاره في كتابه" الأسرار" و كذا في " الدلائل"، فخرج تأليفه مشوها مضطربا، معادا مكرورا[1]ولايفوتنا أن نشير إلى أن المؤلف أشار بإيجاز إلى بعض الأبواب التي تعرض لها عبد القاهر فدرس باب المجاز بفرعيه: المرسل والعقلي، والتشبيه والاستعارة، كما درس النظم، ووقف على مذهب عبد القاهر في تقديم المسند إليه

وختم كتابه بالحديث عن منهج عبد القاهر في كتابيه وأكد أنه" منهج أدبي "محض يعرض فيه الرجل على القارئ الأساليب العربية ويحللها، ويدرسها دراسة فهم وتذوق ونقد، ويستنبط منها ما يشاء من القواعد و الأصول وعليه دعا إلى ضرورة العودة إلى منهج عبد القاهر..

و الدكتور درويش الجندي ألف كتابا عن نظرية النظم عند عبد القاهر تحت عنوان" نظرية عبد القاهر في النظم" استهله بدراسة لبيئة عبد القاهر و عصره وثقافته، وثنى بالتأريخ لقضية الإعجاز من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري زمن عبد القاه.

عرج الدكتور درويش الجندي بعد ذلك للحديث عن نظرية النظم الجرجانية مبينا أسسها ومعالمها شارحا أهدافها المتمثلة في:

أ- بيان أن جوهر الكلام هو المعنى القائم في النفس.

ب- ربط البلاغة بالإعجاز.

والجديد في هذا البحث أنه استعان بالبحوث الكلامية في تفسير نظرية عبد القاهر في النظم وربط هذه النظرية بتلك البحوث ربطا وثيقا.[2]

و في كتاب " المذاهب النقدية للدكتور ماهر حسن فهمي يتعرض لنظرية النظم، فيحدث عن قضية اللفظ و المعنى من حيث نشأتها وأهميتها، ويؤكد أن مقاييس القدماء النقدية

[1]-المطبعة المنيرة، الطبعة الأولى، 1952م، ص 17-34. **عبد القاهر الجرجاني والبلاغة العربية** محمد عبد المنعم الخفاجي

[2]-محمد عبد المنعم الخفاجي، **عبد القاهر الجرجاني والبلاغة العربية**، ص 138.

كانت مبنية على أساس موقفهم منها و يعتبر إماما للمذهب التصويري ، وهو يبني رأيه هذا على أساس من قول لعبد القاهر في الأسرار ، الذي يربط فيه التصورات والتخيلات ويعتبر ذلك بذرة المذهب التصويري عنده. ويشير كذلك إلى الصفة التحليلية في منهجه، وكيف تطور النقد العلمي العربي على يده، وعبد القاهر كان رائدا – ولا شك –في فهمه لطبيعة الصورة، ولكن من الشطط أن نعده رائدا لمذهب أدبي على ما ندرك من مفهوم "المذهب" في أيامنا هذه، و اعتبر الأستاذ محمد.

خلف الله في كتابه " من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده" كتاب " الدلائل" بحثا في أسلوب تأليف الكلام ونظمه، وترتيب معانيه، وما يعرض لها من مظاهر معنوية، محاولا أن ينقل الاهتمام من جانب اللفظ إلى جانب المعنى، ويشير إلى أن عبد القاهر متلجلج في هذه القضية، بينما يقوم " الأسرار" على فكرة أن "مقياس الجودة الأدبية تأثير الصورة البيانية في نفس متذوقها[1] وهو جزء من تفكير سيكولوجي أعم يطبع الكتاب بطابعه عن طريق " الفحص الباطن" وتأكيد الجانب النفسي أي الطريقة النفسانية التي يسميها المحدثون " التأمل الباطني ويعقد محمد خلف الله فصلا يدرس فيه تأثر عبد القاهر في بعض نواحي تفكيره البلاغي و النقدي بالثقافة الإغريقية ولا سيما بحوث أرسطو...ويوجز أهم النواحي التي تعرض لها كتاباه:" الشعر والخطابة" لكي يرى إلى أي مدى تأثر بهما عبد القاهر، ثم يختم بحثه قائلا:" غير أن هذا التأثير لا ينافي الأصالة، ولا ينفي عن عبد القاهر صفة العالم المبتكر، ولا يقلل من أهمية نظريته التي لم يسبقه سابق إلى عرضها، وتحقيقها، وإفراد موضوعها بالدرس، كما يفرد العالم الحديث موضوعا معينا للبحث و التنقيب في رسالة خاصة، فمنهجه وطريقة تأليفه إذن ، من أبرز المعالم في الدراسات العربية النقدية، وشخصيته العلمية في نظريته واضحة حقا بجانب شخصية "أرسطو" وإن قدرته على تسخير العلم في كشف أسرار الذوق لدليل على أصالته كفيل بخلوده. [2]

[1]-ماهر حسن فهمي **المذاهب النقدية** مكتبة النهضة العربية القاهرة، 1962م، 32
[2]- معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1970م، ص 42-43 محمد خلف الله **من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده**

وألف الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي كتابا في نظرية النظم الجرجانية تحث عنوان: "معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني " استهله بفصل عن عبد القاهر ونظرية النظم مؤكدا أن " المتتبع لمؤلفات عبد القاهر في الرسالة الشافية و الدلائل والأسرار يلاحظ قلة الشواهد والآيات القرآنية وتحليلها، وهذه الملاحظة قد وقف عليها الأستاذ أمين الخولي، إذ حكم لعبد القاهر بالبلاغة و الأدب في كتابه "الأسرار" ولكنه يأخذ عليه في كتابه " الدلائل" أنه لا يتحدث في قضية الإعجاز بكثير و لا قليل، بل لا يستشهد بالقرآن على نسبة كافية، وكأنه يتحرى ترك ذلك لما تشعر به من قلة الشواهد القرآنية في كتابه هذا قلة ظاهرة.

وتابع الأستاذ أمين الخولي في هذه الملاحظة الدكتور مصطفى ناصف، في أن عبد القاهر لم يعن بنصوص القرآن في كتابه الأسرار... ويرى الرأي نفسه الدكتور أحمد بدوي ويؤيده، ولتوثيق هذا قمنا بإحصاء الآيات القرآنية التي استخدمها عبد القاهر في رسالته وكتابيه، فكانت كالآتي:

ورد في الرسالة الشافية ثمان آيات من خمس سور، وتقع هذه الرسالة في خمس وأربعين صفحة من الحجم المتوسط.

كما نجد في كتاب "دلائل الإعجاز" عبد القاهر الجرجاني يورد مائة وستا وستين آية، في خمس وأربعين سورة، ويقع كتاب " الدلائل" في حدود ثلاثمائة وأربع وستين صفحة من الحجم المتوسط، وقلة ورود الآيات، وعدم التعرض إلى تفسيرها، أمر واضح في هذا الكتاب، ولا أظن أن عبد القاهر قد خالف بين عنوان الكتاب وهو "دلائل الإعجاز" وما جاء فيه على غير ذلك، كما ظهر لبعض الباحثين، و ذلك لأن العنوان من شقين، الأول في " الدلائل" وهي العلامات و الوسائل و البدايات و الأسس و الركائز ثم إضافة " الدلائل" إلى " الإعجاز "وهو إعجاز القرآن، ومعنى عنوان الكتاب أنه في غير تفسير الإعجاز القرآني، وإنما في وسائل هذا الإعجاز وفي طرائق فهمه.

و درس الدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة الذوق البلاغي لدى عبد القاهر الجرجاني في ظل نظرية النظم من خلال مؤلفه " تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر

الجرجاني" استهله بالحديث عن الذوق البلاغي قبل عبد القاهر ثم انتقل لأصالة الذوق البلاغي مع عبد القاهر وفي ذلك يقول:" وجاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني، ودرس النظم ووضع يده على موطن الفكر في النظم و الترتيب، و كشف عن الإثبات و صوره العجيبة، وحدد دورا لألفاظ، وموقف المعاني الشعرية، ومكانة الصور التي تبرز فيها تلك المعاني.

و تحت ضوء نظريته في النظم دفع أخطاء السابقين في تفسير البيان العربي بعامة وناقش آراء اللفظيين، وبين فضل المفسر على التفسير ووحد موقف منشد النصوص[1]

هذه مجمل الدراسات الحديثة العامة التي تناولت " نظرية النظم" عند عبد القاهر الجرجاني، وهي تهدف إلى بيان عظمة عبد القاهر بالنسبة للدراسات المعاصرة من خلال دراسته القيمة للتراث الأدبي، وتحليله ومناقشته و كيف تصرف المتكلم، فأثبت ونفى، وقيد وأطلق، وعرف ونكر، وقدم وآخر، وفصل ووصل، وفضل أداة على أخرى، ولفظا على آخر، واستعار وشبه، وكنى وصرح، وذكر وأضمر، و أوجز وأطنب، إلى آخر تلك التصرفات التي ليس لها حد ونهاية كما يقول الشيخ نفسه. وقد ربط كل هذه الوجوه و الفروق بغرض الشاعر ومدى التحامها به أو قربها أو بعدها منه، كل ذلك بقريحة نفاذه، وذوق بلاغي سليم، و معرفة واسعة بكلام العرب وطرق القول عندهم.

[1]-عبد العزيز عبد المعطي عرفة، **تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني**، الطبعة الأولى، 1983م، ص06.

الخاتمة

الخاتمة

بعد هذه الدراسة المتواضعة للإمام عبد القاهر الجرجاني، هذا الرجل الألمعي المتفرد بغزارة علمه وسلامة ذوقه، والمتعلقة بالعلاقة بين الدرس النحوي والبلاغي، وهذا ما يدفعنا إلى أن نقر أن الموضوع لم ينل حقه كاملا لأننا أمام عملاق ذو باع واسع، في مجال العلم والخيال والأسلوب وهذا الذي يجعلنا في نهاية المطاف أن ندون جملة من النقط الجوهرية:

- تعد نظرية النظم من أهم إنجازات النقد العربي القديم، التي تشغل بها مجموعة من النقاد والبلاغين منذ أمد بعيد، حيث مرت عبر مراحل مختلفة بداية من دراسات ومحاولات فردية لعلماء مهدوا لميلاد هذه النظرية.
- يعد الجاحظ أول من تفطن إلى قضية اللفظ والمعنى، في تاريخ التفكير النقدي عند العرب، ولكن هذا لا ينفي ما قدمه النقاد و البلاغيون الذين سبقوه، كابن قتيبة والرماني وأبو خلال العسكري والخطابي والباقلاني والقاضي عبد الجبار .... إلخ
- تباين طرح قضية اللفظ والمعنى بين النقاد والبلاغين، فمنهم من ربطها بالشعر ومنهم من ربطها بالنقد و آخرون بالإعجاز القرآني وهو ما جعل مسألة الخلاف نشب بين رواد اللفظ والمعنى، ليكون الجرجاني هاهنا همزة وصل ووساطة في تهدأت هذه الحرب التي شبت.
- استفاد الجرجاني ممن سبقوه في فكرة النظم ليطورها ويخلق لها أسس وقواعد ترتكز عليها، لتضحي نظرية علمية ناضجة ومكتملة يضبطها منهج.
- لعبد القاهر الجرجاني باع في التحليل اللساني، وقد استطاع أن يشغل العلاقة اللغوية بين اللغة وفنية التأليف في بيان وضع اللفظ وقيمة الدلالة، وقد وظف النحو والبلاغة في تقديم نظرية كاملة في التأليف اللساني للنص وأطلق عليه نظرية النظم، والتي صورها في دلائل الإعجاز.
- أستطاع عبد القاهر الجرجاني أن يقدم تحليل للنص الأدبي، متجاوزا العمل النحوي الذي وقف عند حدود الجملة وإعرابها، دون التأمل في العلاقات القائمة بين

أجزائها ودون معرفة كيفية حصول المعنى ومعنى المعنى، وفي هذا الإطار انطلق عبد القاهر الجرجاني من مراحل متعددة أولها التأليف اللساني وثانيهما التأليف التركيبي.

- نظرية النظم التي أبرز معالمها عبد القاهر الجرجاني، إلى حيز الوجود هي صورة النظم التي يرى فيها الإعجاز القرآني مع حقيقة العلاقة الرابطة بين اللفظ والمعنى واللغة والفكر، بأنها علاقة عضوية قائمة، يمكن إدراكها بالفكر والذوق، وقد ربط الجرجاني بين نظريته في النظم وبين الإعجاز واللفظ والمعنى والتصوير، ليخدم القرآن ويبرز الإعجاز فيه.
- النظم هو توالي الألفاظ في النطق كيف جاء و اتفق بل هو تناسق دلالتها وتلاقي معانيها، على الوجه الذي يقتضيه العقل.
- أقام عبد القاهر الجرجاني نظريته وفق حقلين حقل نحوي انطلاق مما قدمه سيبويه في الكتاب من ملاحظات تتصل في مجملها بموضوع النظم، وحقل بلاغي إعجازي.
- الألفاظ في النظم عند عبد القاهر الجرجاني مرتبطة بالمعنى، ولا يمكن فصلها عنه إذ ينكر القسمة ما بين اللفظ والمعنى ويرد المزية في الكلام إلى السياق الذي تتعاون فيه جميع دلالات الكلمة.
- الألفاظ قبل أن تدخل في التأليف لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة وإنما تثبت لها الفضيلة.
- ترتب الألفاظ في النظم، بتوخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه فيما بين الكلم.
- درس الجرجاني في مؤلفه دلائل الإعجاز، النظم وصلاته الوثيقة بالمعنى وهو الذي وقع في المزية وهو موضع الفصاحة ومكانها فقد ربط النظم بمعاني النحو ووجوهه، ليوجد صلة بين النحو والبيان ليقف على أسرار البيان العربي ودقائقه.
- عبد القاهر الجرجاني يعد واضع لأسس البلاغة العربية والموضح لمشكلاتها، والذي على منهاجه سار رجال البلاغة بعده.

- إن نظرية النظم تعد نقلة نوعية ووثبة جبارة بلغها النقد العربي في مرحلة الكمال والنضج والفضل يعود لعبد القاهر الجرجاني، وهي تعد أولى البدايات المتقدمة للنقد المنهجي عند العرب بعد تجاوز النقد الانطباعي الذي أساسه المزاج والذوق.

وأخيرا إن الهدف من بحثنا هذا ليس مجرد سرد لنظرية النظم بقدر ما هو التمكن من التمرن على هذا الجانب اللغوي والتحكم فيه، متقصين المراحل التي سبقت ميلاد هذه النظرية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أ- المعاجم

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: أحمد عامر حيدر، الجزء الثاني عشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003م.

2- أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، **معجم العين**، تحقيق: مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي، الجزء الثامن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1988م.

3- احمد فارس الرازي، **معجم مقايس اللغة**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، المجلد الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 2011م.

4- الجوهري، **الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، 1984م.

5- الصاحب ابن عباد، **معجم المحيط في اللغة**، مكتبة المنشأة الإسلامية، ملف الثاني.

6- الفيروز الأبدي، **القاموس المحيط**، المطبعة الأمدية، الطبعة الثالثة، 1301هـ.

7- محمد مرتضى الزبيري، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: نواف الجراح سمير شمس، دار الأبحاث للترجمة والنشر و التوزيع، تلمسان، الزائر، الطبعة الأولى، 2011م.

المصادر:

1- ابن أثير، **المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، الجزء الثاني، 1990م.

2- ابن المقفع، **الأدب الصغير**، مكتبة الحياة، بدون طبعة، بيروت.

3- ابن جني، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية البيضاء، د، ت، الطبعة الخامسة، 1999م.

4- ابن رشيق القيرواني، **العمدة**، تحقيق: محمد قزقزان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1989م.

5- ابن قتيبة، **الشعر و الشعراء**، راجعه و أعد فهارسه: الشيخ محمد عبد المنعم عريان، دار إحياء العلوم، بيروت، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، 1994م.

6- إحسان عباس، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر) من القرن الثاني حتى القرن الثامن هجري**، دار الشروق، عمان، الطبعة الثانية، 1993م.

7- الجاحظ، **البيان و التبين**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، بيروت، الجزء الأول، د، ط.

8- الجاحظ، **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، 1969م.

9- حاتم القرطاجي، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: الحبيب بن الخوجة، تونس، 1966م.

10- سيبويه، **الكتاب**، الجزء الأول، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الجبل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، د، ت.

11- قدامة بن جعفر، **نقد الشعر**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982م.

12- المبرد، **المقتضب**، تحقيق: عبد الخالق عظيمة، علم الكتب، بيروت، لبنان، د، ط، د، ت، الجزء الرابع.

13- محمد بن أحمد العلوي بن طباطب، **عيار الشعر**، تحقيق: طه الحاجري و محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1980م.
14- محمد مندور، **النقد المنهجي عند العرب**، دار النهضة، مصر، للطباعة والنشر، د، ت، 1996م.

المراجع

1- إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر، 1959م .
2- ابن عبد الله شعيب أحمد، بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، دروس ودراسات، ابن خلدون للنشر والتوزيع، 2004م .
3- ابن يعيش، شرح المفصل، تحقيق: إميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى، 2001م، الجزء الثامن.
4- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، تحقيق: أحمد عامر حيدر، الجزء الثاني عشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003م.
5- أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، الجزء الثامن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1988م.
6- أبو هلال العسكري، الصناعتين " الكتابة و الشعر "، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1981م .
7- أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
8- أحمد بن فارس الرازي، معجم مقايس اللغة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، المجلد الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 2011م.

9- أحمد سيد عمار، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1998م.
10- أحمد شامية، خصائص العربية والإعجاز القرآني في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995م.
11- أحمد علي دهمان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا وتطبيقا، دار طلاس، دمشق، الطبعة الأولى، الجزء الأول.
12- الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، منشورات محمد علي بيضوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2005 م.
13- تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الجوار للنشر والتوزيع، سورية، اللاذقية، الطبعة الأولى، 1983م.
14- جلال شمس الدين، الأنماط الشكليةنظرية وتطبيقا دراسة بنيوية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، د ط،1990.
15- حاتم الضامن، نظرية النظم تاريخ وتطور، الموسوعة الصغيرة، دار الثقافة، د ط، 1972م.
16- حاتم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، 1966م .
17- حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م.
18- حمادى صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، الطبعة الرسمية للجمهورية التونسي، 1981م.
19- السيد أحمد الخليل، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1968 9م .
20- الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، 1985م .
21- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، الطبعة السابعة، 1987م.

22- صالح بالعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.

23- طه إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1985م.

24- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2004م.

25- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار الثقافة العربية، الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى، 2007م.

26- عبد القاهر الجرجاني، العوامل المائة، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، بغداد، د ط، 1982م.

27- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، صححه وعلق حواشيه: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 198م.

28- عبد القاهر الجرجاني، شرح الجمل، تحقيق: يسرى عبد المغني عبد الله، دار الكتب العلمية، 1992م .

29- عبد القاهر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997م.

30- عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي القديم عرض و تفسير ومقارنة، دار الفكر العربي، مصر، الطبعة الثانية، 1968م.

31- فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، نقلا عن: صالح بالعيد، نظرية النظم، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة الجزائر، د، ط، 2002م .

32- فرديناند سوسير، دروس في الألسنية العامة، تعريب: صالح الفرمادي و محمد شاوش و محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985م.

33- القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق: أمين الخولي، مطبعة دار الكتب، الجمهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة

34- محمد بن أحمد العلوي بن طباطب، عيار الشعر، تحقيق: طه الحاجري و محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1980م.
35- محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي والبلاغة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 1968م.
36- محمد عباس، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1999م.
37- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم، الكويت، الطبعة الرابعة، 1977م.
38- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1971م.
39- منير سلطان، إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة، منشآت المعارف، الطبعة الثالثة، الإسكندرية، 1986م .
40- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م .
41- نصر أبو يزيد، مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني، قراءة في ضوء الأسلوبية، فصول، مج 05، ع 01، القاهرة، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، 1984م.

الدواوين:

1. ملحق ديوان كثير عزة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1971م.
2. ابي ذئيب الهذلي، تحقيق: أنطو نيوس بطرس، الطبعة الأولى، 2003م.
3. ديوان أبي نواس بن حجر، تحقيق و شرح: الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت.

4. ديوان عنترة، تحقيق: محمد سعيد مولوي، دراسة علمية مخففة على ستة نسخ مخطوطة، دار عالم الكتب للطباعة و النشر و التوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الثالثة، 1996م.
5. ديوان أبي تمام، تقديم وشرح: محي الدين صبحي، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م.
6. ديوان المتنبي، شرح: عبد الرحمان البرقوقي، مكتبة نزار مصطفى البار، الرياض، مكة، الطبعة الأولى، الجزء الأول، 2002م.

الرسائل العلمية:

1. بو منصور كهينة إيدير نجاة، **تطور نظرية النظم بين الجاحظ وعبد القادر الجرجاني**، رسالة لنيل شهادة الماستر، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، 2017-2018م.

المجلات:

1. عبد القادر المهيري، **مساهمة في التعريف بآراء عبد القاهر الجرجاني**، حوليات الجامعة التونسية، العدد 11، 1974م، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.
2. ابتسام أحمد حمدان، **أسس نحوية و لغوية في التفكير البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني**، مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها، فصيلة محكمة، العدد الثالث، خريف 2010م.

الفهرس

الشكر والعرفان..... 1

الإهداء..... 1

مقدمة..... 2

مدخل..... 1

الإرهاصات الأولية لنظرية النظم قبل عبد القاهر الجرجاني..... 1

فكرة النظم قبل القاهر الجرجاني..... 1

الفصل الأول: الإطار المرجعي لنظرية النظم في الحقول 8

المبحث الأول: الحقل المعرفي..... 8

المطلب الأول: النحو قبل عبد القاهر الجرجاني 8

المطلب الثاني: النحو عند الجرجاني قبل دلائل الإعجاز. 14

المبحث الثاني: الحقل البلاغي والإعجازي. 34

المطلب الأول: مفهوم البلاغة..... 34

المطلب الثاني: قضية اللفظ والمعنى. 42

المطلب الثالث: رد فعل الجرجاني على أنصار اللفظ وعلى أنصار المعنى. 52

الفصل الثاني: نظرية النظم..... 58

المبحث الأول: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني..... 58

المطلب الأول: التعريف بمصطلح النظم..... 58

المطلب الثاني : أسس نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني. 73

المطلب الثالث: روافد ودوافع نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني 80

الخاتمة 133

قائمة المصادر والمراجع.....137

أ- ..... المعاجم

.....137

الملخص

يعد عبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم ذو الفضل في ميلاد هذه النظرية المتكاملة، التي كانت أحد لبنات النضج الفكري من خلال تجاوز النقد الانطباعي وخلق نقد منهجي، مبينا الصلة الوثيقة بين النظم ومعاني النحو وأوجهه، ليوجد صلة بين النحو والبيان من خلال أسرار البيان العربي ودقائقه.

Abstract

Abdel-Qahir Al-Jarjani is the author of systems theory, with the merit of the birth of this integrated theory, which was one of the building blocks of intellectual maturity by transcending impressionist criticism, and creating systematic criticism indicating the close link between systems and, the meanings of grammar and its aspects, so that there is a link between grammar and statement through the secrets of the Arabic statement and its minute.